فِقْهُ الحَيَاءِ

تأليف

محمد بن إسماعيل المقدم

عفا الله عنه

الأمل
للطبع والتوزيع
ALAMAL

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى بدار الإمل

للطبع والتوزيع

١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

رقم الإيداع

٢٠٩١١ / ٢٠١٤م

0112 0774 990 - 0100 0282 166
daralamal2014@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمدًا يبلغ رضاه، وصَلَّى الله على أشرف من اجتباه، عبدِه ورسولِه القائل: «**إنما بُعِثْتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**»[1]، وعلى مَنْ صاحَبَهُ ووالاه، وسَلَّم تسليمًا كثيرًا كثيرًا، لا يُدْرَكُ منتهاه.

أما بعد:

فإن الحياء من أبرز الصفات التي تنأى بالمرء عن الرذائل، وتحجزه عن السقوط إلى سفاسف الأخلاق، وحَمْأَةِ[2] الذنوب، كما أن الحياء من أقوى البواعث على الفضائل وارتياد معالي الأمور.

(١) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٧٣)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٩٢)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، وأحمد (٢/ ٣١٨)، وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وصححه الحافظ ابن عبد البر.

(٢) الحَمْأة والحَمَأ: الطين الأسود المُنتِن.

والحياء صِمام أمنٍ لسائر الأخلاق، وهو فضيلةٌ سامية تضبط إيقاع السلوك البشري، وسياجٌ واقٍ يحمي القيم، ويحرس الأخلاق.

ولقد رفع الإسلام شأن الحياء، وحث على لزومه باعتباره خُلُقَ الإسلام، ورأسَ مكارم الأخلاق.

وفي هذا المبحث نحاول أن نسلط الضوء على «فقه الحياء» من خلال بيان معناه، وفضائله، وأنواعه، وأحكامه، وثمراته، والله -سبحانه وتعالى- المسئول المرجوُّ الإجابة أن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يلهم المسلمين عَوْدًا حميدًا إلى مكارم أخلاق الإسلام الحنيف، وإحياءً وتجديدًا لمحاسن الشرع الشريف، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

محمد بن أحمد بن إسماعيل بن المقدم

الإسكندرية في الخميس ١٠ من المحرم ١٤٢٧ هـ
الموافق ٩ من فبراير ٢٠٠٦ م.

فصل
في معنى الحياء

الحياء لغةً:

مصدر حيي، من الحياة، والغيث يُسمى حَيًا - بالقصر - لأن به حياةَ الأرض والنبات والدواب، وكذلك سميت بالحياء حياةُ الدنيا والآخرة، فمن لا حياء له فهو ميتٌ في الدنيا، شقيٌّ في الآخرة، قال بعض البلغاء: «حياة الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه».

وعلى حَسَب حياة القلب تكون فيه قوة خُلُق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أكثر حياةً كان الحياءُ أتم.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-:

«وكُلَّما كانت هذه الأخلاقُ في صاحبها أكملَ، كانتْ حياتُهُ أقوى وأتمَّ؛ ولهذا كان خُلُقُ (الحياء) مشتقًّا من

(الحياة) اسـمًا وحقيقةً، فأكملُ الناس حيـاةً أكملُهُمْ حياءً، ونقصـان حيـاء المرء مـن نقصـان حياتِهِ، فـإنَّ الـرُّوح إذا ماتـت لم تُحِسَّ بمـا يؤلمها من القبائح، فلا تسـتحي منها، فإذا كانتْ صحيحة الحياة أحسـت بذلك، فاسـتحيت منه، وكذلك سائر الأخلاق الفاضلة والصفات الممدوحة تابعة لقـوة الحياة، وضدُّها من نقصـان الحياة، ولهذا كانت حياة الشـجاع أكملَ من حيـاة الجبان، وحياة السَّـخيِّ أكملَ من حيـاةِ البخيلِ، وحياة الفَطِنِ الذَّكـيِّ أكملَ من حياة الفَدْمِ [1] البليدِ؛ ولهذا لمَّا كان الأنبياءُ – صلوات الله عليهم – أكملَ النـاس حياةً – حتى إنَّ قـوَّة حياتهم تمنـعُ الأرض أنْ تُبْلِيَ أجسامَهُمْ – كانوا أكملَ الناس في هذه الأخلاق، ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأمثل من أتباعِهِمْ» [2].

(١) الفَدْم: الثقيل الفهم، العَيي.

(٢) «تهذيب مدارج السالكين» (٢/ ٩٤٨).

الحياء شرعًا:

تغير وانكسار يعتري الإنسانَ من خوف ما يُعابُ به ويُذَم[1].

وقيل: هو خلق يبعث على اجتناب القبيح من الأفعال والأقوال، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق.

وقيل: هو الترقي عن المساوئ خوفَ الذم.

وقيل: هو انقباض النفس من شيء حذرًا من الملام[2].

وقال ابن مسكويه: الحياء هو انحصار النفس خوف إتيان القبائح، والحذرُ من الذمِّ والسَّبِّ الصادق[3].

وقيل: هو مَلَكَةٌ راسخة للنفس، تُوزِعُها[4] على إيفاء الحقوق، وترك القطيعة والعقوق[5].

---

(١) «الفتح» (١/ ٥٢).

(٢) «التوقيف على مهمات التعاريف» ص (١٥٠).

(٣) «تهذيب الأخلاق» ص (١٧).

(٤) تُغريها، وتدفعها.

(٥) «دليل الفالحين» (٣/ ١٥٨).

وقال الجُرجاني: هو انقباض النفس من شيء، وتركه حذرًا عن اللوم فيه [1].

وقال الجاحظ: الحياء من قبيل الوقار، وهو غضُّ الطرف والانقباض عن الكلام حِشمةً للمستحيا منه، وهو عادة محمودة ما لم تكن عن عِيٍّ ولا عجزٍ [2].

وقال ذو النون المصري: الحياء وجودُ الهيبة في القلب مع وحشةِ ما سبق منك إلى ربِّك، والحبُّ يُنْطِقُ، والحياء يُسْكِتُ، والخوف يُقْلِق [3].

وقيل: الحياء: ذوبان الحشا لاطِّلاع المولى.

إذن حقيقة الحياء:

أنه خلق يبعث على ترك القبائح، ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق، وقد اختصَّ الله -عز وجل- به

(١) «التعريفات» ص (٩٤).
(٢) «تهذيب الأخلاق» للجاحظ ص (٢٣).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٠).

الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه الشهوة من القبائح، كي لا يكون كالبهيمة التي تهجم على ما تشتهي دون حياء.

وبين اقتراف الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكلٌّ منهما يستدعي الآخر، ويطلبه حثيثًا، قال الشاعر:

إذا رُزِقَ الفتى وجهًا وَقاحًا[1] تقلَّب في الأمور كما يشاء

ولم يكُ للدواء ولا لشيء تعالجه به فيه غَناء

ورُبَّ قبيحةٍ ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء

فكان هو الدواء لها ولكن إذا ذهب الحياءُ فلا دواء

وعن مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ قال في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] قال: «لباس التقوى الحياء»[2].

(١) وَقاحًا: متلونًا كثير الوقاحة وعديم الحياء، والوقاحة والقِحَة: أن يقل حياء الرجل، ويجترئ على اقتراف القبائح، ولا يعبأ بها.

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (٨/ ١٧٥).

فمِن ثَمَّ قال سفيان بن عيينة -رحمه الله تعالى-: «الحياء أخف التقوى، ولا يخاف العبد حتى يستحيي، وهل دخل أهل التقوى في التقوى إلا من الحياء ؟!».

قال الواسطي: «لم يذُق لذَعاتِ الحياءِ مَن لابسَ خرقَ حَدٍّ، أو نَقْضَ عهدٍ».

ما إن دعاني الهوى لفاحشة إلا نهاني الحياءُ والكرمُ

ولا إلى مُحَرَّمٍ مددتُ يدي ولا مشت بي لريبةٍ قدمُ

وقال أبو عقبة الجراح بن عبد الله الحَكَمي: «تركت الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع»[1].

وقال بعض العقلاء:

«عليك بالحياء والأَنَفَة، فإنك إن استحييت من الفَضَاحة اجتنبتَ الخساسة، وإن أنفت من الغلبة لم يتقدمك أحد في مرتبة».

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٨٩، ١٩٠).

الفرق بين الحياء والخجل:

قال الراغب:

«وأما الخجل فحيرة النفس لفرط الحياء، ويُحمد في النساء والصبيان[1]، ويُذَمُّ باتفاق من الرجال، والوقاحة مذمومة بكل إنسان إذ هي انسلاخ من الإنسانية، وحقيقتها لَجاج النفس في تعاطي القبيح، واشتقاقه من: حافرٍ وَقاح: أي صُلْب، وبهذه المناسبة قال الشاعر:

يا ليتَ لي مِن جِلدِ وجهكَ رقعةً

فأقد منها حافرًا للأشهبِ[2]

وما أصدق قول الشاعر:

صلابةُ الوجهِ لم تَغْلِبْ على أحدٍ

إلا تكاملَ فيه الشرُّ واجتمعا[3]

---

(١) ليس هذا على إطلاقه، كما سنوضحه -إن شاء الله- في مبحث مستقل.

(٢) الأشهب: صفة من صفات الخيل.

(٣) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ص (١٤٦).

وكان مالك بن دينار -رحمه الله تعالى- يقول: «ما عاقب الله تعالى قلبًا بأشدَّ من أن يسلب منه الحياء».

وعن سليمان قال: إذا أراد الله بعبدٍ هلاكًا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مَقيتًا مُمَقَّتًا»[1].

وقال صالح بن جَنَاح:

إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤه ولا خيرَ في وجهٍ إذا قل ماؤُه[2]

الحياء دليل نجابة الصبي:

قال أبو حامد الغزالي -رحمه الله تعالى-:

«أول حُسْن المراقبة ظهور الحياء، فإنه إذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال؛ فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه، حتى يرى بعض الأشياء قبيحًا ومخالفًا للبعض، فصار يستحيي من شيء دون شيء، وهذه هدية من الله تعالى إليه، وبِشارة تدل على اعتدال الأخلاق، وصفاء القلب، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ، فالصبي

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٨٩).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٢٧).

المستحيي لا ينبغي أن يُهمل، بل يُستعان على تأديبه بحيائه أو تمييزه»[1] اهـ.

وقال ابن مسكويه -رحمه الله تعالى-: «إذا نظرت إلى الصبي فوجدته مستحييًا مُطْرِقًا بطرفه إلى الأرض غيرَ وقَاح الوجه، ولا مُحْدِقًا إليك، فهو أول دليل نجابته، والشاهد لك على أن نفسه قد أحسَّت بالجميل والقبيح»[2].

وعن عمرو بن عقبة قال: لما بلغتُ خمسَ عشرةَ سنة قال لي أبي: «يا بني، قد تقطَّعَتْ عنك شرائعُ الصِّبا، فالزم الحياء تكن من أهله، ولا تتركه فتبين منه».

الحياء جِبلِّيٌّ، وكَسْبِيٌّ:

(أ) الحياء غريزي جِبلِّي وهبيٌّ مركوز في فطرة الإنسان، فهو غيرُ مكتسَب أصلًا، لكنه اكتسابي كمالًا.

مثال الحياء الجبلي الفطري: حياء الإنسان من التكشف، ومنه حياء آدم وحواء -عليهما السلام- حين

(١) «الإحياء» (٣/ ٧٢).

(٢) «تهذيب الأخلاق» ص (٤٨).

سارعا إلى ستر عوراتهما بأوراق الشجر بمجرد أن تبدت لهما سوآتهما: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [طه: ١٢١].

وعن الحسن عن أبي بن كعب -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن آدم -عليه السلام- كان رجلًا طُوالًا كأنه نخلةٌ سَحُوقٌ** (١)، **كثير شعرِ الرأس، فلما وقع بما وقع به بَدَتْ له عورتُه، وكان لا يراها قبل ذلك، فانطلق هاربًا، فأخذَتْ برأسِهِ شجرةٌ من شجر الجنة، فقال لها: «أَرْسِلِيني» قالت: «لستُ مُرْسِلَتَكَ»، قال: فناداه ربه -عز وجل-: «أَمِنِّي تَفِرُّ؟»، قال: «أي ربِّ ألا أستحييك؟» قال: فناداه: «وإن المؤمن يستحيي رَبَّه -عز وجل- من الذنب إذا وقع به، ثم يعلمُ بحمد الله أين المخرج، يعلم أن المخرج في الاستغفار والتوبة إلى الله -عز وجل-»** (٢).

(١) النخلة السحوق: الطويلة التي بَعُدَ ثمرها على المجتني.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» ص (٤٨) مرسلًا، فإن الحسن لم يدرك أُبيًّا، وأخرجه الحاكم موصولًا (٢/ ٢٦٢) عن الحسن عن يحيى ابن ضمرة، (ولعله: عُتيُّ بن ضمرة)، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

وفي الحياء الفطري الغريزي قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأَشَجِّ بني عصر: «**إن فيك لخَلتين** [1] **يحبهما الله -عزوجل-**» فقال: «وما هما؟»، قال: «**الحِلْم والحياء**»، قال: قلت: «قديمًا كانتا فِيَّ أم حديثًا؟» قال: «**قديمًا**»، قال: «الحمد لله الذي جبلني على خَلتين يحبهما الله -عز وجل-» [2].

(ب) أما النوع الآخر من الحياء فإنه يكون مكتسبًا من معرفة الله -عز وجل- وقربه من عباده، وإحاطته بهم، وعلمه خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهذا هو الحياء «الإيمانيُّ» المكلَّف به، والذي يمنع المؤمنَ من ارتكاب المعاصي خوفًا من الله -عز وجل- وقد ينطبع الشخصُ بالمكتسب حتى يصير كالغريزي.

---

(١) الخَلَّة: الخَصْلة.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٩٠)، والإمام أحمد (٤/ ٢٠٥)، وله شواهد في «الصحيحين»، وغيرهما، وصححه الألباني على شرط الشيخين.

وقَدْ كَانَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- قَدْ جُمعَ لَهُ النَّوعَانِ، فَكَانَ -صلى الله عليه وسلم- في الغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِها، وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ في الذِّرْوَةِ العُلْيَا [1].

وَقَالَ المُناوِيُّ: «الحَيَاءُ نَوْعَانِ: نَفْسَانِيٌّ، وَهُوَ المَخْلُوقُ في النُّفُوس كُلِّهَا، كَالْحَيَاءِ مِنْ كَشْفِ العَوْرَةِ والجِمَاعِ بَيْنَ النَاسِ، وَإِيمَانِيٌّ وَهُوَ أَنْ يَمْتَنِعَ المُسْلِمُ مِنْ فِعْلِ المُحَرَّمِ خَوْفًا مِنَ اللهِ» [2] اهـ.

الحياء من مكارم الأخلاق عند العرب:

قال في «اللمعات»: «كانت العربُ أحسنَ الأمم أخلاقًا، ولكنهم قد ضلوا بالكفر عن كثير منها، وخلطوا بها أحكام الجاهلية، فبُعِثَ -صلى الله عليه وسلم- ليتمم محاسن الأخلاق» [3] اهـ.

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٥٢٢، ٥٢٣).

(٢) «التوقيف على مهمات التعاريف» ص (١٥٠).

(٣) «فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد» (١/ ٣٧٠).

وكان الحياء من هذه الأخلاق التي تغنَّى بها العرب:

قال الشَّنْفَرى يصف امرأة شديدة الحياء:

كأنَّ لها في الأرض نَسْيًا تَقُصُّه

على أَمِّها وإن تُحَدِّثْكَ تَبْلِتِ

يقول: لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيئًا في الأرض، والنَّسْيُ: ما أضله أهلُه، فيُطَلب ويطمع فيه، وتقصه: تتبعه، قال -عز وجل-: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾ أي: اتبعي أثره، والأَمُّ: القصد، وقوله: «وإن تحدثْكَ تَبْلِتِ» أي: تقطع الحديث لاستحيائها.

ووصف النابغة شدة حياء امرأة النعمان حين مرت بمجلسهما، فسقط نَصيفُها - أي برقعها - الذي كانت قد تقنعت به، فسترت وجهها بذراعيها، وانحنت على الأرض ترفع النصيف بيدها الأخرى، فقال:

سقط النصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه

فتناولتْه واتَّقَتْنا باليدِ

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه في رَكْبٍ من قريش، وكانوا تجارًا بالشام في المدة التي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء، فدعاهم في مجلسه وحولَه عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بتَرْجُمانه، فقال: «أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟»، فقال أبو سفيان: «فقلت: أنا أقربهم نسبًا»، فقال: «أدنوه مني، وقرِّبوا أصحابه، فاجعلوهم عند ظهره»، ثم قال لتَرْجُمانه: «قل لهم: إني سائلٌ هذا الرجلَ، فإن كَذَبني فكذِّبوه»، فوالله لولا الحياءُ من أن يأثِروا عَلَيَّ كذبًا لكذبتُ عنه...» الحديث [1].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: وفي قوله: «يأثروا» دون قوله: «يُكَذِّبوا» دليل على أنه كان واثقًا منهم بعدم التكذيب أن لو كذب لاشتراكهم معه في عداوة النبي

(١) رواه البخاري (١/ ٣٥ - فتح).

-صلى اللـه عليه وسـلم-، لكنه ترك ذلك اسـتحياءً وأنفة مـن أن يتحدثوا بذلك بعد أن يرجعوا، فيصير عند سـامعي ذلك كذابًا، وفي رواية ابن إسحاق التصريح بذلك، ولفظه: «فوالله لو قد كذبت ما ردوا عليَّ، ولكني كنت امْرَءًا سـيدًا أتكرم عن الكذب، وعلمت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبته أن يحفظوا ذلك عني ثم يتحدثوا به، فلم أكذبه» [1] اهـ.

وعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسـلم- بعثه مـع أبي عامر على جيش في أوطـاس، ورمى رجل من بني جُشَـم أبا عامر بسـهم فأثبته في ركبته، قال أبو موسـى: فقصدتُ له، فاعتمدته، فلحِقته، فلمـا رآني ولَّى عني ذاهبًا، فاتَّبعتـه، وجعلتُ أقول له: «ألا تسـتحيي؟! ألسـتَ عربيًّا؟! ألا تثبت؟! فكفَّ، فالتقيت أنا وهو، فاختلفنا أنا وهو ضربتين، فضربته بالسيف، فقتلته»[2].

(١) «فتح الباري» (١/ ٣٥).

(٢) رواه البخاري (٤٣٢٣)، ومسلم (٢٤٩٨)، (١٦/ ٥٩ - نووي).

الحياء في الإسلام

أما في الإسلام فقد رفع الإسلام شأن الحياء، وحض عليه، وامتدح أهله في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فلقد أبرز القرآن العظيم خلق الحياء في ابنتي الرجل الصالح، اللتين انحدرتا من بيت كريم، ينضح بالعفاف والطهارة، والصيانة وحسن التربية، قال الله تعالى في شأن موسى -عليه السلام-: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢٣ - ٢٥].

(دلَّت الآيات على الأدب الرفيع الذي تحلَّى به موسى -عليه السلام- وعلى مدى حيائه، ويتَّضح هذا من سياق الحديث الذي دار بينه وبين ابنتي شعيب [1]، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ ولم يزد على ذلك، فلم يسألهما عن اسميهما، ولا عن أبيهما، وعمَّا إذا كانت الأغنام ملكًا لأبيهما، أو له فيها شركاء، وعمَّا إذا كانتا أو إحداهما متزوجة كما يفعل بعض الناس اليوم، ويعتبرونه من مزايا التحضُّر والتكيُّف والاندماج الاجتماعي، وكذلك الحال في موقف ابنتي شعيب إذ كان جوابهما على مستوى السؤال، مستوفيًا البيان في عبارة موجزة مانعة من استمرار الحديث: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾، فبذلك أسدلتا الستار عن استمرار الحديث، ولم تسأله كلتاهما أو إحداهما عن اسمه أو عن بلده أو عن أيام حياته الماضية، وعمَّا إذا كان متزوجًا أو غير متزوج، وكذلك حين جاءته إحداهما،

(١) لم يثبت أن الرجل الصالح كان شعيبًا - عليه السلام -، انظر «جامع الرسائل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٦١-٦٦).

قالـت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾، وكانت في مِشـيتها تسـير في حياء بالغ، حيـاء البنت الكريمة الحاصلة على الجانب الوفير من التربية الحسـنة، والخصال الكريمـة الطيبـة، فوصـف القـرآن الكريم مِشـيتها: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾، كأنمـا الحيـاء بسـاط، وهـي عليه تسـير)[1]، قال عمر -رضي الله عنه-: «ليست بسَلْفَعٍ[2] من النسـاء خَرَّاجةً ولَّاجة، ولكن جاءت مستترة، قد وضعت كُـمَّ دِرْعِها علـى وجهها اسـتحياءً»[3]، وفي روايـة: «جاءت تمشي على استحياء، قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع من النساء خراجة ولَّاجة»[4].

(١) «الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية» للدكتور محمد السيد الزعبلاوي، ص (٩٢، ٩٣).

(٢) امرأة سلفع: سليطة جريئة قليلة الحياء.

(٣) أخرجه الفريابي، وابن أبي شيبة في «المصنف»، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه عن عمر -رضي الله عنه- كما في «الدر المنثور» (٥/ ١٢٤).

(٤) ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم، وصححه، كما في «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٢٣٨).

وبلغ من تقدير الإسلام خُلُقَ الحياء أن بُني على اعتباره حكمٌ شرعيٌّ، فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الجارية يُنكِحُها أهلُها، أَتُستأمر أم لا؟»، فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**نعم تُستأمر**»، فقالت: فقلت له: «إنها تستحيي»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**فذلك إذنها إذا هي سكتت**» (١)، وفي لفظ النسائي وأحمد: «**استأمروا النساء في أبضاعهن**» قيل: «فإن البكر تستحيي أن تكلم؟» قال: «**سكوتها إذنها**»، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**لا تُنكَحُ البكر حتى تُستأذن، ولا الثيبُ حتى تُستأمر...**» (٢) الحديث.

فجعل إذن البكر أن تسكت لشدة حيائها، أما الثيب فلا بد من إذنها الصريح في التزويج.

بل جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- الاستحياء معيارًا يُفْصَلُ به بين البِرِّ والإثم، فقد قال -صلى الله عليه وسلم-

(١) رواه البخاري رقم (٥١٣٧)، ومسلم (١٤٢٠)، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري رقم (٥١٣٦)، ومسلم في (١٤١٩)، وغيرهما.

للنواس بن سمعان – رضي الله عنه –: «**البِرُّ: حُسن الخلق، والإثم: ما حاك في صدرك، وكرهتَ أن يطلعَ عليه الناسُ**»[1]، وقال –صلى الله عليه وسلم– لوابصةَ بنِ مَعْبَدٍ –رضي الله عنه–: «**البر: ما اطمأنت إليه النفس، والإثم: ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك**»[2].

(١) رواه مسلم (٢٥٥٣)، والترمذي (٢٣٩٠)، والإمام أحمد (٤/ ١٨٢).
(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٢٨).

فصل
في أقسام الحياء

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-:

قُسِّمَ الحَيَاءُ على عَشْرَةِ أَوْجُهٍ:

حَيَاءُ جِنَايَةٍ، وحَيَاءُ تَقْصِيرٍ، وَحَيَاءُ إجْلَالٍ، وحَيَاءُ كَرَمٍ، وحَيَاءُ حِشْمَةٍ، وحَيَاءُ اسْتِحْقَارِ النَّفْس (اسْتِصْغَارِهَا)، وحَيَاءُ مَحَبَّةٍ، وحَيَاءُ عُبُودِيَّةٍ، وحَيَاءُ شَرَفٍ وعِزَّةٍ، وحَيَاءُ الْمُسْتَحْيِي مِنْ نَفْسِهِ.

١ - **فَأَمَّا حَيَاءُ الجِنَايَةِ:** فَمِنْهُ حَيَاءُ آدَمَ -عليه السلام- لَمَّا فَرَّ هَارِبًا فِي الْجَنَّةِ، قَالَ اللهُ تعالى: «**أَفِرَارًا مِنِّي يَا آدَمُ؟**» قال: «**لَا يا رَبِّ! بَلْ حَيَاءً مِنْكَ**» [1].

---

(١) تقدم نص الحديث ص (١٣).

٢ - وَحَيَاءُ التَّقْصِيرِ: كَحَيَاءِ الملائِكَةِ الذينَ يُسَبِّحُون اللَّيْلَ والنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، فإذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ قَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ.

٣ - وَحَيَاءُ الإِجْلالِ: وَهُوَ حَيَاءُ الْمَعْرِفَةِ، وعَلَى حَسَبِ مَعْرِفَةِ العَبْدِ بِرَبِّهِ يَكُونُ حَيَاؤُهُ مِنْهُ[1].

٤ - وحَيَاءُ الكَرَمِ: كَحَيَاءِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ القَوْمِ الذينَ دَعَاهُمْ إلَى وَلِيمَةِ زَيْنَبَ، وَطوَّلُوا الجُلُوسَ عِنْدَهُ، فَقَامَ واسْتَحْيَا أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: انْصَرِفُوا.

٥ - وحَيَاءُ الحِشْمَةِ: كَحَيَاءِ عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ -رضي الله عنه- أَنْ يَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنِ الْمَذْي لِمَكَانِ ابْنَتِهِ مِنْهُ.

---

(١) وفيه قال أحمد بن عاصم: «أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي، ليس المعرفة: الإقرار به، ولكن المعرفة: التي إذا عرفت، استحييتُ» اهـ. من «حلية الأولياء» (٩/ ٢٨٢).

٦ - وحَيَاءُ الاسْتِحْقَار، واسْتِصْغَارِ النَّفْسِ: كَحَيَاءِ العَبْدِ مِـنْ رَبِّهِ -عز وجـل- حِينَ يَسْـأَلُهُ حَوَائِجَهُ، احْتِقَارًا لِشـأنِ نَفْسِهِ، واسْتِصْغَارًا لَهَا.

وقَدْ يَكُونُ لِهَذَا النوعِ سببان:

أَحَدُهُمَـا: اسْـتِحْقَارُ السَّـائِلِ نَفْسَـهُ، واسْـتِعْظَامُ ذُنُوبِـهِ وخَطَايَاهُ.

الثَّاني: اسْتِعْظَامُ مَسْئولِهِ (وهُوَ المَوْلَى -عز وجل-).

٧ - وأَمَّا حَيَاءُ المَحَبَّةِ: فَهُـوَ حَيَـاءُ المُحِبِّ مِنْ مَحْبُوبِهِ، حَتَّـى إنَّهُ إذا خَطَـرَ عَلَى قَلْبِهِ فِي غَيْبَتِهِ هَـاجَ الحَيَاءُ مِنْ قَلْبِهِ، وأَحَسَّ بِهِ في وَجْهِهِ، وَلَا يَدْرِي ما سَبَبُهُ.

وَكَذَلِكَ يَعْـرِضُ لِلْمُحِبِّ عِنْدَ مُلَاقَاتِه مَحْبُوبَهُ ومُفَاجَأَتِه لَـهُ رَوْعَةٌ شَـدِيدَةٌ، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: «جَمالٌ رَائِعٌ»، وسَـبَبُ هَذَا الحَيَاءِ والرَّوْعَةِ مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ.

فَـإِذَا فَاجـأَ المَحْبُـوبُ مُحِبَّـهُ، ورَآهُ بَغْتَةً، أَحَـسَّ القَلْبُ بِهُجُومِ سُلْطَانِهِ عَلَيْه، فَاعْتَرَاهُ رَوْعَةٌ وَخَوْفٌ.

٨ - وأَمَّا حَيَاءُ العُبُودِيَّةِ: فَهُوَ حَيَاءٌ مُمْتَزِجٌ مِنْ مَحَبَةٍ وَخَوْفٍ، ومُشَاهَدَةِ عَدَم صَلَاحِ عُبُودِيَّتِهِ لِمَعْبُودِهِ، وأَنَّ قَدْرَهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ مِنْهَا، فَعُبُودِيَّتُهُ لَهُ تُوجِبُ اسْتِحْيَاءَهُ مِنْهُ لا مَحَالَةَ.

٩ - وأَمَّا حَيَاءُ الشَّرَفِ والعِزَّةِ: فَحَيَاءُ النَّفْسِ العَظِيمَةِ الكَبِيرَةِ إذا صَدَرَ مِنْهَا مَا هُوَ دُونَ قَدْرِها مِنْ بَذْلٍ أَوْ عَطَاءٍ أو إِحْسَانٍ، فإِنَّهُ يَسْتَحْيِي مَعَ بَذْلِهِ حَيَاءَ شَرفِ نَفْسٍ وعِزَّةٍ.

١٠ - وأَمَّا حَيَاءُ المَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ: فَهُوَ حَيَاءُ النُّفُوسِ الشَّرِيفَةِ الْعَزِيزَةِ الرَّفِيعَةِ مِنْ رِضَاهَا لِنَفْسِهَا بالنَّقْصِ، وقَنَاعَتِهَا بالدُّونِ، فَيَجِدُ نَفْسَهُ مُسْتَحْيِيًا مِنْ نَفْسِهِ، حَتَّى كَأَنَّ لَهُ نَفْسَيْنِ، يَسْتَحْيِي بإِحْدَاهُمَا مِنَ الأُخْرَى، وهَذَا أَكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الحَيَاءِ، فإِنَّ العَبْدَ إِذَا اسْتَحْيَا مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ بِأَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنْ غَيرِهِ أَجْدَر [1].

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١ - ٢٦٤) بتصرف.

مِمَّ يَتَولَّدُ الحياءُ؟

قَالَ أَبُو الفِدَا إسماعيل الهرويُّ في «مَنَازِل السَّائِرينَ»: «الْحَيَاءُ مِنْ أَوَّلِ مَدَارِجِ أَهْلِ الْخُصُوصِ، يَتَوَلَّدُ مِنْ تَعْظِيمٍ مَنُوطٍ بِوُدٍّ»[1].

قَالَ ابنُ القَيِّم: يَعْنِي أَنَّ الحَيَاءَ حَالَةٌ حَاصِلَةٌ من امْتِزَاجِ التَّعْظِيمِ بالمَوَدَّةِ، فإذا اقْتَرَنَا تَوَلَّدَ بَيْنَهُمَا الحَيَاءُ[2].

وَقَالَ بعضهم: تَوَلُّدُهُ مِنْ شُعُورِ القَلْبِ بِمَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ، ونُفْرَتِه عَنْهُ، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَا الشُعُورِ والنُّفْرَةِ حَالَةٌ هيَ الحَيَاءُ[3].

قَالَ ابْنُ القَيِّم: وَلَا تَنَافِي بَيْنَ هذه الأَقْوَالِ؛ لأَنَّ لِلْحَيَاءِ عِدَّةَ أَسْبَابٍ، وكُلٌّ أَشَارَ إلى بَعْضِهَا[4].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧٤)، نقلًا عن «منازل السائرين».

(٢) «نفسه».

(٣) «نفسه» (٢/ ٢٧٥).

(٤) «نفسه».

وقَـدْ يَتَوَلَّدُ الحَيَاءُ مِنْ عِلْم العَبْدِ بِنَظَرِ الحَقِّ إليهِ، فيَجْذِبُهُ ذلك إلى تَحَمُّلِ المُجَاهَدَةِ، ويَحْمِلُهُ عَلَى اسْتِقْبَاحِ الجِنَايَةِ، ويُسْكِتُهُ عَنِ الشَّكْوَى[1].

وقـد يتولد الحياء من «مشـهد النعمة والإحسـان»، فإن الكريم لا يقابل بالإساءة مَن أحسن إليه، وإنما يفعله اللئيم، فيمنعه - أي: الكريم - مشـهد إحسـانه إليـه، ونعمته عليه مـن عصيانه، حياءً منـه أن يكون خيره وإنعامـه نازلًا عليه، ومخالفته صاعدة إليه، فمَلَكٌ ينزل بهذا، ومَلَك يعرج بهذا، فأَقْبِحْ بها من مقابلة!.

قال الجنيـد -رحمه الله تعالى-: «الحيـاء رؤيةُ الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسـمى الحياء، وحقيقته خُلُـق يبعث على تـرك القبائح، ويمنع مـن التفريط في حق صاحب الحق»[2].

---

(١) «نفسه».

(٢) «رياض الصالحين» ص (٢٤٦).

فإذا كان الإنسان يخزى أن يسيء إلى من أحسن إليه من البشر، ويستحيي ممن أسدى إليه معروفًا أن يقابله بالنُّكْر، فيكف لا يستحيي الإنسان من ربه واهبِ النعم التي لا تُحصى؟!.

قال محمد بن عليٍّ الترمذيُّ: «اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نِعَمُه عنك، واجعل طاعتَك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن مُلكه وسُلطانه»، فلو لم يَرِد بالحياء شرع، لاستلزمه العقل واستحسنه، قال الشاعر:

هَبِ[1] البعثَ لم تأتنا رسلُه وجاحِمةَ النارِ لم تُضْرَمِ
أليس مِن الواجب المستحَقِّ حياءُ العبادِ من المُنْعِمِ

عن يوسف بن الحسين قال: سمعت ذا النون يقول: لله عباد تركوا الذنب استحياءًا من كرمه بعد أن تركوه خوفًا من عقوبته، ولو قال لك:

(١) هب: بمعنى ظُنَّ وافترض، وهو فعل جامد ملازم للأمرية.

«اعمل ما شئتَ، فلستُ آخُذُكَ بذنبٍ»؛ كان ينبغي لك أن يزيدَك كرمُه استحياءًا منه، وتركًا لمعصيته إن كنتَ حرًّا كريمًا عبدًا شكورًا، فكيف وقد حذرك[1]؟!

عن محمد بن الفضل قال: «الحياء يتولد من النظر إلى إحسان المحسن، ثم من النظر إلى جفائك إلى المحسن، فإذا كُنْتَ كذلك؛ رُزِقْتَ الحياءَ إن شاء الله»[2].

وقال ذو النون: «اعلموا أن الذي أهاج الحياء من الله -عز وجل- معرفتُهم بإحسان الله إليهم، وعلمهم بتضييع ما افترض الله عليهم من شكره، وليس لشكره نهاية، كما ليس لعظمته نهاية»[3].

تائبٌ تجري دموعي نَدَمًا ... يا لِقلبي من دموعِ الندمِ
ليتني ذُبْتُ حياءً كلما ... جدَّد العفوُ عطاءَ المنعِمِ

(١) «شعب الإيمان» رقم(٧٧٤٥).
(٢) «نفسه» رقم (٧٧٤٤).
(٣) «نفسه» رقم (٧٧٤٢).

حياء الجناية:

روى قتادة عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**يَجمعُ اللهُ الناسَ يومَ القيامة، فيهتمون لذلك، فيقولون: «لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا؟»، قال: فيأتون آدم، فيقولون: «أنت آدم أبو الخلق، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من رُوحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا»، فيقول: «لستُ هُناكم[1]»، فيذكر خطيئته[2] التي أصاب، فيستحيي رَبَّه**

(١) قوله: «لستُ هُناكم»: (قال عياض: قوله: «لستُ هُناكم» كناية عن أن منزلته دون المنزلة المطلوبة، قاله تواضعًا وإكبارًا لما يسألونه، قال: وقد يكون فيه إشارة إلى أن هذا المقام ليس لي بل لغيري. قلت: وقد وقع في رواية معبد ابن هلال: «فيقول: لستُ لها»، وكذا في بقية المواضع، وفي رواية حذيفة: «لستُ بصاحب ذاك»، وهو يؤيد الإشارة المذكورة) اهـ من «فتح الباري» (١٥/ ١١١).

(٢) ما نسب إلى الأنبياء -عليهم السلام- من معصية إما أنه فعلٌ حَسِب النبي أنه يرضي الله -عز وجل- فلم يوافق رضا الله، أو أنه من باب ترك الأوْلى، ومن باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، فالأنبياء -عليهم السلام- معصومون من أن يقع منهم ما يُزْرِي بمراتبهم العالية، ومناصبهم السامية، ولو فرضنا أنه وقع منهم شيء من المخالفة فإنهم يتداركون ذلك =

منها، «ولكن ائتوا نوحًا أولَ رسولٍ بعثه الله إلى أهل الأرض[1]»، قال: فيأتون نوحًا، فيقول: «لستُ هُناكم»، فيذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربَّه منها، «ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا»، فيأتون إبراهيم، فيقول: «لستُ هُناكم»، وذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها، «ولكن ائتوا موسى الذي كلَّمه الله، وأعطاه التوراة»، قال: فيأتون موسى، فيقول:

= بالتوبة والإخلاص، وصِدق الإنابة إلى الله -عز وجل- حتى ينالوا بذلك أعلى الدرجات، فتكون درجاتهم بذلك أعلى من درجة من لم يرتكب شيئًا من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

وقد استقصى الإمام ابن حزم -رحمه الله- في «الفِصَل» ما يَرِد من الشبهات على عصمة الأنبياء -عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام- في بحث مدهش، فراجعه (٤/ ٢ - ٢٥)، وانظر: «الرسل والرسالات» للدكتور عمر الأشقر ص (٩٧ - ١١٢).

(١) أي: بعد الطوفان؛ لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنًا معه، وقد كان مرسلًا إليهم، لأن هذا العموم لم يكن من أصل بعثته، وإنما اتفق بالحادث الذي وقع، وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس، وأما نبينا -صلى الله عليه وسلم- فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه بذلك. انظر: «فتح الباري» (٢/ ١٤،١٥).

«لستُ هُناكم»، ويذكر خطيئته التي أصاب، فيستحيي ربه منها، «ولكن ائتوا عيسى رُوحَ الله وكلمته»، فيأتون عيسى رُوحَ الله وكلمتَه، فيقول: «لستُ هُناكم، ولكن ائتوا محمدًا، عبدًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «فيأتونني، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا أنا رأيته وقعتُ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، فيقال: يا محمد، ارفع، قُلْ يُسمع، سَلْ تُعطه، اشْفَعْ تُشَفَّعْ» الحديث[1].

وعن محمد بن حاتم قال: قال الفضيل بن عياض: «لو خُيِّرتُ بين أن أُبعث فأدخل الجنة، وبين أن لا أُبعث؛ لاخترت أن لا أبعث»، قيل لمحمد بن حاتم: هذا من الحياء؟ قال: نعم، هذا من طريق الحياء من الله -عز وجل-.

وعن علقمة بن مرثد قال: «كان الأسود يجتهد في العبادة، ويصوم حتى يخضر ويصفر، فلما احتُضِر بكى، فقيل له: «ما هذا الجزع؟»، قال: «ما لي لا أجزع؟ ومن أحق

(١) رواه البخاري في «التوحيد» (١٣/ ٣٩٢) رقم (٧٤١٠)، ومسلم رقم (١٩٤).

بذلك مني؟ والله لو أُتيت بالمغفرة من الله -عز وجل- لأهمَّني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنبُ الصغير فيعفو عنه، ولا يزال مستحييًا منه».

وأنشد بعضهم:

يا حسرةَ العاصين عند معادهم

هذا وإن قدموا على الجناتِ

لو لم يكن إلا الحياءُ من الذي

ستر القبيحَ لكان أعظمَ الحسراتِ

وقال الحسن: «لو لم نبكِ إلا للحياء من ذلك المقام؛ لكان ينبغي لنا أن نبكي فنطيل البكاء».

يا كاتمَ السرِّ ومخفيه أين من الله تواريه

بارزتَ بالعصيان ربَّ العُلا وأنت من جارك تخفيه [1]

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٤٦٠).

ورُوي عـن أبي حامـد الخلقاني أنه أنشـد الإمام أحمد هذين البيتين:

إذا مـا قـال لـي ربـي أمـا استـحـيـيـتَ تَعـصـيـنـي
وتُـخـفِـي الـذنـبَ مِـن خَـلـقـي وبـالـعـصـيـانِ تـأتـيـنـي

فأمـره أحمـد بإعادتهما عليـه، فأعادهما عليـه، فدخل أحمد داره، وجعل يرددهما، ويبكي.

وشهد الفضيل -رحمه الله تعالى- الموقف الأشرف في عرفات فرفع رأسـه إلى السماء، وقد قبض على لحيته، وهو يبكي بكاء الثكلى، ويقول: «واسوأتاه منك، وإن عفوتَ!».

يـا خجلـةَ العبدِ من إحسـان سـيده
يا حسرةَ القلب من ألطاف معناهُ
فكـم أسـأتُ وبالإحسـان قابلنـي
واخـجـلـتـي واحـيـائـي حـيـن ألـقـاه
يا نفسُ كم بخفيِّ اللطف عامَلَني
وقـد رآنـي عـلـى مـا لـيـس يـرضـاه

يـا نفـس كم زلـةٍ زلـت بهـا قدمي

ومـــا أقـــال عِـــثـــاري ثـــمَّ إلا هُـو

يا نفـسُ توبي إلى مولاكِ واجتهدي

وصـــابـــري فـيـه إيـقـانًـا بـرؤيـاهُ

فصل
فضائل الحياء

أولًا: الحياءُ مِفتاحُ كلِّ خيرٍ

ويكفي الحياءَ خيرًا كونُه على الخير دليلًا، إذ مبدأ الحياء: انكسار وانقباض يلحق الإنسان مخافةَ نسبته إلى القبيح، ونهايته: ترك القبيح، وكلاهما خير، عن أبي نُجيد عِمران ابن حصين الخزاعي -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[1]، فقال بُشَيْرُ بن كعب[2]: «مكتوب في الحكمة[3]: إن منه

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب»: باب الحياء (١٠/ ٥٢١)، رقم (٦١١٧)، ومسلم رقم (٣٧)، وأبو داود (٤٧٩٦)، وأحمد (٤/ ٤٢٧).

(٢) بضم الموحدة، وفتح المعجمة مصغرًا، العدوي البصري التابعي الجليل.

(٣) **الحكمة**: هي العلم الذي يُبحث فيه عن أحوال حقائق الموجودات، وقيل: العلم المتقن الوافي، كذا في «الفتح الرباني» (١٩/ ٩٣)، والمراد هنا: الكتب المتقدمة.

وقـارًا [1]، ومنـه سـكينة [2]»، فقـال عمـران: «أحدثـك عن رسـول اللـه -صلـى اللـه عليـه وسـلم- وتحدثنـي عـن صحفك؟».

ورواه حميـد بن هلال، عن بُشَـير بن كعب، عن عِمران ابـن حصيـن -رضي اللـه عنهمـا- قال: قـال رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم-: «**الحياء خير كله**»، فقال بشـير: فقلـت: «إن منه ضعفًا، وإن منه عجـزًا»[3]، فقال: «أحدثك

---

(١) أي: حِلمًا ورزانة.

(٢) أي: دعة وسكونًا، وفي رواية لمسلم: «إن منه سكينة ووقارًا لله، ومنه ضعف»، قال الحافظ: «وهذه الزيادة متعينة، ولأجلها غضب عمران» اهـ. وقال في «الكواكب»: «إنما غضب لأن الحجة إنما هي في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا فيما يُروى عن كتب الحكمة؛ لأنه لا يدري ما في حقيقتها، ولا يعرف صدقها»، وقال القرطبي: «إنما أنكر عليه من حيث إنه ساقه في معرض مَن يعارض كلام النبوة بكلام غيره، وقيل: لكونه خاف أن يخلط السنة بغيرها، وإلا فليس في ذكر السكينة والوقار ما ينافي كونه خيرًا». اهـ. من «الفتح الرباني» (١٩/ ٩٣).

(٣) معناه: أنه قد يستحيي أن يواجه بالحق من يستحييه، فيدع أمره بمعروف، ونهيه عن منكر، وقد يحمله على إخلاله ببعض الحقوق، وغير ذلك مما يُعرف عادة. =

عـن رسـول اللـه -صلـى اللـه عليـه وسـلم-، وتجيئنـي بالمعاريـض[1]؟ لا أحدثـك بحديـثٍ ما عرفتُـك»، فقالوا: «يا أبا نجيد، إنه طيب الهوى[2]، وإنه... وإنه...»، فلم يزالوا به حتى سكن، وحَدَّث.

= والجواب عن ذلك: أن هذا المانع ليس من الحياء حقيقة، بل هو عجز وخور ومهانة، وإنما يطلِق عليه أهلُ العرف حياءً مجازًا، أما الحياء الحقيقي فهو خُلُق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق كل ذي حق.

(١) جاء عند مسلم وأبـي داود: «فغضب عمران حتى احْمَرَّت عيناه»، قال النووي -رحمه الله-: «وأما إنكار عمران -رضي الله عنه- فلكونه قال: «منه ضعف» بعد سماعه قولَ النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إنه خير كله**».

ومعنى قوله: «وتجيئني بالمعاريض» أي: تأتي بكلام في مقابلته، وتعترض بما يخالفه.

(٢) جاء عند مسلم: «إنه مِنَّا أبا نجيد، إنه لا بأس به»، ومعنى طيب الهوى: أي طيب القلب، لا يقصد سوءًا، قال النووي: «وقولهم: (إنه مِنَّا، لا بأس به) معناه: ليس هو ممن يتهم بنفاق أو زندقة أو بدعة وغيرها مما يخالف به أهل الاستقامة، والله أعلم» اهـ.

تنبيه: نستطيع في ضوء ما تقدم أن نرد ما زعمه الراغب في «الذريعة» ص (١٤٥) من أن «الحياء مركب من جُبْن وعفة، ولذلك لا يكون المستحيي =

= فاسقًا، ولا الفاسق مستحييًا؛ لتنافي اجتماع العفة والفسق، وقلَّ ما يكون الشجاع مستحييًا، والمستحيي شجاعًا؛ لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة» اهـ. لأن قوله: «جبن» توأم قول بشير لعمران -رضي الله عنه-: «ضعف، وعجز»، وكلاهما تَعَرُّضٌ لعموم قول الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم-: «**الحياء خير كله**»، وقد قال ابن شهاب الزهري: «دَعُوا السنة تمضي، لا تعرِضوا لها بالرأي».

دعوا كل قولٍ عند قول محمدٍ فما آمِنٌ في دينه كمخاطِرِ

والرجل الفاضل الحيي يتخوف على مكارمه ومحامده أن يضيع بهاؤها، وينطفئ سناؤها، بما يجرح الشعور، ويُحرج الوجدان، فحياء مثل هذا من أمارات الشجاعة؛ لأن الحيي الكريم يجود بإراقة دمه، ويفضِّل ذلك على إراقة ماء وجهه، فتراه يستحيي من الفرار، ويتقي العار، وهذا من أعلى الشجاعة، وقد قرنت العربُ بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء، نحو قول الشاعر:

يجري الحياءُ الغضُّ من قَسماتهم في حين يجري من أكفهمُ الدمُ

وقول الآخر:

كريم يغض الطرف فضل حيائه ويدنو وأطراف الرماح دوانِي

وقول ليلى الأخيلية:

فتى هو أحيا من فتاة حيية وأشجعُ من ليثٍ بخِفَّانِ خادِرِ

تعني: أشجع من أسد مقيم في غِيل من الشجر، وهو الشجر العظيم الملتف. وخِفَّان: موضع قرب الكوفة، وهي مأسدة، والأسد الخادر: المقيم في عرينه، وهو خِدره.

ما ملخصه:

«خُلُقُ الحَيَاءِ مِنْ أفْضَلِ الأَخْلَاقِ وأَجَلِّهَا وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا وأَكثرِهَا نَفْعًا، بَلْ هُوَ خَاصَّةُ الإنْسَانِيَّةِ، فَمَنْ لا حَيَاءَ فيه لَيْسَ معهُ مِنَ الإنسانيةِ إلَّا اللَّحْمُ والدَّمُ وصُورَتُهُمَا الظَّاهِرَةُ، كما أَنَّهُ ليسَ معهُ من الخَيْرِ شيءٌ، ولَوْلَا هذا الخُلُقُ لَمْ يُقْرَ الضَّيْفُ، ولَمْ يُوفَ بالوَعْدِ، ولَمْ تُؤَدَّ أَمَانَةٌ، ولَمْ تُقْضَ لأحَدٍ حَاجَةٌ، ولا تَحرَّى الرَّجُلُ الجَمِيلَ فَآثَرَهُ، والقبِيحَ فَتَنَكَّبَه، وَلَا سَترَ لَهُ عَوْرَةً، ولا امْتَنَعَ مِنْ فاحِشَةٍ، وكَثيرٌ مِنَ الناسِ لَوْلَا الحَيَاءُ الذي فيه لَمْ يُؤَدِّ شَيْئًا منَ الأُمُورِ المُفْتَرَضَةِ علَيْهِ، ولَمْ يَرْعَ لِمَخْلُوقٍ حَقًّا، ولَمْ يَصِلْ لَهُ رحِمًا، ولا بَرَّ لَهُ وَالِدًا؛ فَإنَّ البَاعِثَ عَلَى هذه الأَفْعَالِ إمَّا دِينِيٌّ، وهُوَ رَجَاءُ عَاقِبَتِهَا الحمِيدَة، وإمَّا دُنْيَويٌّ عادِيٌّ، وهُوَ حَيَاءُ فَاعِلِهَا مِنَ الخَلْقِ؛ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لوْلَا الْحَيَاءُ إمَّا مِنَ الْخَالِقِ أو مِنَ الْخَلَائِقِ لَمْ يَفْعَلْهَا صَاحِبُهَا».

ثُـمَّ قـال -رحمـه اللـه تعالـى-: إنَّ للإنسـان آمِرَيْـنِ وَزَاجِرَيْـنِ، فله آمِرٌ وزَاجِرٌ مِنْ جِهَةِ الحَيَاءِ، فإذا أَطَاعَهُ امْتَنَعَ مِـنْ فِعْـل كُل ما يَشْـتَهِي، ولَهُ آمِـرٌ وزَاجِرٌ مِـنْ جِهَةِ الهَوَى والشـهوة والطَّبيعةِ، فَمَنْ لَمْ يُطِعْ آمِـرَ الحَيَاءِ وزَاجِرَهُ، أَطَاعَ آمِرَ الهَوَى والشَّهْوَةِ ولَا بُدَّ» [1] اهـ.

ثانيًا: الحياء من خصائص الفطرة الإنسانية

الحيـاء من خصائـص الإنسـان، وغريزة فيـه، وإن كان اسـتعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فإنه يردع عن ارتكاب كل ما يشتهيه فلا يكون كالبهيمة [2].

(١) بتصرف من «مِفتاح دار السعادة» ط. دار عالم الفوائد (٢/ ٧٨٨ - ٧٩١).
(٢) تقدم الكلام على الحياء الغريزي، ص (١٠).

ثالثًا: الحياء إيمان

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدُهما، رُفِعَ الآخر**»[(١)].

قال الطيبي: «فيه رائحة التجريد[(٢)]، حيث جرد من الإيمان شعبةً منه، وجعلها قرينة له على سبيل الاستعارة، كأنهما رضيعا لبان ثدي، تقاسما على أن لا يفترقا»[(٣)] اهـ.

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «الحياء والإيمان في طَلَقٍ[(٤)]، فإذا انتُزِع أحدُهما من العبد؛ اتبعه الآخر»[(٥)].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٢)، وقال: «صحيح على شرطهما»، وأقره الذهبيُّ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣١٩٥).

(٢) التجريد: عزل صفة أو علاقة عزلًا ذهنيًّا، وقَصْرُ الاعتبار عليها، أو: ما يترتب على ذلك.

(٣) نقله عنه في «فيض القدير» (٣/ ٤٢٦).

(٤) «الطَّلق هاهنا: حَبْل مفتول شديد الفتل، أي: هما مجتمعان لا يفترقان، كأنهما قد شُدَّا في حبل أو قيد» اهـ. من «النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٣٤).

(٥) «شعب الإيمان» رقم (٧٧٢٥).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مَرَّ على رجل من الأنصار وهو يعظ[1] أخاه في الحياء[2]، وفي رواية: وهو يعاتب أخاه على الحياء، يقول: «إنك لتستحيي»، حتى كأنه يقول: «قد أَضَرَّ بك»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**دعه**[3]، **فإن الحياء من الإيمان**»[4].

---

(١) الوعظ: زجر يقترن بتخويف، وكان ينصح له أن لا يُكثر منه، ويذكر ما يترتب على ملازمته من المفسدة وضياع المال وخسران الربح، كما في «فضل الله الصمد» (٢/ ٦١).

(٢) (في) هنا سببية، وكان الأخ كثير الحياء، فكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه.

(٣) («**دعه**» أي: اتركه على هذا الخلق السَّني، ثم زاده في ذلك ترغيبًا لحكمه بأنه من الإيمان، وإذا كان الحياء يمنع صاحبه من استيفاء الحق جَرَّ له ذلك تحصيل أجر ذلك الحق، ولا سيما إذا كان المتروك له مستحقًّا، والظاهر: أن الناهي ما كان يعرف أن الحياء من مكملات الإيمان، فلهذا وقع التأكيد، وقد يكون التأكيد من جهة أن القضية في نفسها مما يهتم به، وإن لم يكن هناك منكر) اهـ. من «فضل الله الصمد» (٢/ ٦١).

(٤) رواه البخاري في «الأدب»: باب الحياء (١٠/ ٤٣٣)، ومسلم رقم (٣٦).

وعـن أبـي هريـرة -رضي اللـه عنه- قـال رسـول الله -صلـى اللـه عليه وسـلم-: «**الإيمـان بضع وسـبعون أو بضع وسـتون شـعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

ويُروى عن سـليمان -عليه السـلام-: «الحيـاء نِظام[2] الإيمان، فإذا انْحَلَّ النظامُ ذَهَبَ ما فيه»[3].

وقـال إياس بن قرة: كنـت عند عمر بن عبد العزيز فذُكِر عنده الحياء، فقالـوا: الحياء من الدين، فقال عمر: «بل هو الدين كله»[4].

---

(١) رواه البخاري في «الإيمان» باب أمور الإيمان (١/ ٥١ - فتح) رقم (٩)، ومسلم - واللفظ له - رقم (٣٥)، وغيرهما.

(٢) النظام: الخيطُ يُنْظَم فيه اللؤلؤ وغيره، ويقال: نظام الأمر: قِوامُه وعِماده.

(٣) ذكره ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٧٧).

(٤) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا ص (١٩).

وعـن أبـي هريـرة -رضي اللـه عنه- قـال رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم-: «**الحياء من الإيمان**[1]، **والإيمان في الجنة، والبَذاء**[2] **من الجفاء**[3]، **والجفاء في النار**»[4].

فجعل -صلى الله عليه وسـلم- البـذاءة مقابلة للحياء، وقريب من البذاءة الفحش والوقاحة، قال -صلى الله عليه وسـلم-: «**ما كان الفُحْشُ في شيء إلا شَـانَه، وما كان الحياءُ في شيءٍ إلا زَانَه**»[5].

---

(١) انظر: شرح معناه ص (٤٦) وما بعدها.

(٢) البذاءة لغةً: السفاهة، والفحش في المنطق، وإن كان الكلام صدقًا، والفُحْشُ: ما اشتد قبحه من ذنوب ومعاصٍ، ويجري أكثر ذلك في ألفاظ الوِقاع وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحةً فاحشةً، أما أهل الصلاح فيتحاشَوْن ذلك، ويعبرون عنه بغير لسانهم، أو بالكناية عن كل ما يُستحيا منه من الألفاظ.

(٣) الجفاء: الطرد، والإعراض، وترك الصلة والبر.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٥٠١)، والترمذي (٢٠١٠)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (١٩٢٩)، وانظر: «السلسة الصحيحة» رقم (٣٣٨١)، و«فيض القدير» (٣/ ٤٢٨).

(٥) رواه الترمذي (١٩٧٤) في «البر والصلة»، وقال: «حديث حسن غريب»، وابن ماجه (٤١٨٥) في «الزهد»، والبغوي في «شرح السنة» رقم=

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن أثقلَ شيء يُوضَعُ في ميزان المؤمنين يومَ القيامة خُلُقٌ حَسَنٌ، وإن الله يُبغِضُ الفاحشَ البذيء**»[1].

وقال الفضيل بن عياض: «خمس من علامات الشِّقوة: القسوةُ في القلب، وجمودُ العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطولُ الأمل»[2].

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «لم يكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاحشًا ولا متفحشًا ولا صَخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح»[3].

= (٣٥٩٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠١٤٥)، وقال محقق «شرح السنة»: «سنده صحيح».

(١) أخرجه بنحوه الترمذي رقم (٢٠٠٢) في البر والصلة، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٤٩٦)، وأخرج صدره الإمام أحمد (٦/ ٤٤٢)، وأبو داود (٤٧٩٩)، وقال محقق «شرح السنة»: «سنده صحيح».

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٧١).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» رقم (٨٢٩٧).

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: «لم يكن النبي -صلى الله عليه وسلم- فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إن مِنْ خِيارِكم أحاسنَكم أخلاقًا**» [1].

قال أبو حاتم: «فإذا لزم المرء الحياء كانت أسباب الخير منه موجودة، كما أن الواقِح إذا لزم البذاء كان وجود الخير منه معدومًا، وتواتر الشر منه موجودًا؛ لأن الحياء هو الحائل بين المرء وبين المزجورات كلها، فبقوة الحياء يضعف ارتكابه إياها، وبضعف الحياء تقوى مباشرته إياها»[2] اهـ.

وأنشد محمد بن عبد الله البغدادي:

إذا قلَّ ماءُ الوجه قلَّ حياؤه فلا خير في وجهٍ إذا قل ماؤُه

حياءك فاحفظه عليك فإنما يدل على وجه الكريم حياؤه [3]

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٦٦) رقم (٣٥٥٩).

(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» ص (٥٨).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٢٧).

وقال سليمان: «إذا أراد الله بعبدٍ هلاكًا نزع منه الحياء، فإذا نُزع منه الحياء؛ لم تلقه إلا مقيتًا مُمَقَّتًا» [1].

وقال العَرجيُّ:

إذا حُرم المرءُ الحياءَ فإنه بكل قبيح كان منه جديرُ

له قِحَةٌ [2] في كل شيء وسِرُّه مباحٌ وخِدناه [3] خنًا [4] وغرورُ

دفع إشكالين:

الأول:

قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**الحياء شعبة من الإيمان**» [5].

---

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٨٩).

(٢) وَقَحَ حافر الدابة يَقِحُ قِحَةً: صَلُبَ، فهو واقح، ووَقُحَ الرجلُ: قلَّ حياؤه، واجترأ على اقتراف القبائح، ولم يعبأ بها، يقال: رجل وَقَاحُ الوجه: قليل الحياء.

(٣) الخِدْن: الصديقُ، والصديقُ في السر.

(٤) الخَنا: الفحش في الكلام.

(٥) تقدم تخريجه ص (٣٣).

قـال بعضهم: كيف جعل الحياء - وهو غريزة - شـعبة من الإيمان - وهو اكتساب؟

والجواب في ذلك: أن المسـتحيي ينقطـع بالحيـاء عن المعاصي، فصـار كالإيمان الذي يقطع عنهـا، ويحول بين المؤمن وبينها [1].

وقال ابن الأثير في هذا الحديث:

«... وإنما جعله بعض الإيمان؛ لأن الإيمان ينقسم إلى: ائتمـارٍ بما أمـر الله به، وانتهـاءٍ عما نهى اللـه عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعضَ الإيمان» [2].

وحكـى الإمام النووي -رحمه الله تعالى- عن القاضي عيـاض قولـه: «إنمـا جعل الحياء مـن الإيمـان - وإن كان غريزة - لأنه قد يكون تخلقًا واكتسـابًا، كسـائر أعمال البر، وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج

---

(١) «لسان العرب» (١٤/ ٢١٧).

(٢) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٤٧٠).

إلى اكتساب، ونية، وعلم، فهو من الإيمان بهذا، ولكونه باعثًا على أفعال البر، ومانعًا من المعاصي» [1] اهـ.

أما إذا سُلب العبدُ الحياءَ المكتسب والغريزي، فإنه لا يبقى له ما يحجزه عن القبائح والدنايا، فصار كأنه لا إيمان له، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**الحياءُ من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبَذاءُ من الجفاء، والجفاء في النار**» [2].

الثاني:

إذا كان الحياء من الإيمان؛ فماذا عن وجود حياء ظاهر عند بعض الكافرين ؟

والجواب بمعونة الملكِ الوهاب:

- أن الحياء الذي هو شعبة من شعب الإيمان هو الحياء الشرعي التكليفي، الذي لا بد فيه من اكتساب ونية، والحياء الذي قد يوجد عند الكافر هو الحياء الغريزي الجِبلِّي، ولا

(١) «شرح النووي لصحيح مسلم» (٢/ ٥).
(٢) تقدم تخريجه ص (٤٣).

مانـع من أن يوجد في كافرٍ تبقى لديه من رصيد الفطرة السـوية قدر لم تفسده العوامل البيئية.

- والحيـاء الشـرعي يفتقـر إلـى نيـة التقـرب بـه إلـى الله تعالـى، ولا يصـح ذلـك مـن كافر لعـدم صحـة نيتـه [1]؛ لأنه لا يعرف ربه.

- ولـو تَدَيَّـن الكافـر باكتسـاب الحياء، فإن قُصـارى ذلك أن يكـون متقربًا إلى الله بشـعبة من شـعب الإيمـان، ولا يلزم مـن ذلـك أن يكون مؤمنًـا، ومن المعلـوم أن شـعبة «لا إله إلا اللـه» التـي هـي أعلى شـعب الإيمـان؛ شـرط فـي صحة كل مـا بعدهـا من الشـعب [2]، فمهمـا أتـى العبد بشـعب الإيمان - بـدون أن يأتـي بشـهادة التوحيـد - فإنهـا باطلـة، لا تصح، ولا تنفعه في الآخرة، لكن قد يشاء الله [3] تعالى مكافأته عليها

(١) يشترط لصحة النية أن يكون مَن صدرت عنه النية من الذين تصح منهم العبادة، أي مسلمًا عاقلًا مميزًا.

(٢) انظر: «كتاب الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم ص (٣١، ٣٢)، ط. المكتبة السلفية، ط. ثانية ١٣٩١ هـ.

(٣) لقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

فـي الدنيا فقـط؛ لقوله -صلى الله عليه وسـلم-: «**إن الله لا يظلمُ مؤمنًا حسـنةً، يُعْطَى بها في الدنيا، ويُجْزَى بها في الآخرة، وأمـا الكافر فيُطعَمُ بحسـناتِ ما عَمِـلَ بها لله في الدنيـا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حَسَنَةٌ يُجزى بها**» [1].

فائدة:

قـال ابـن قتيبة -رحمه اللـه تعالـى-: «إن الحياء يمنع صاحبـه مـن المعاصي كمـا يمنـع الإيمان، فسُـمي إيمانًا كما يسـمى الشيء باسـم ما قام مقامه، وأفرده بالذكر لأنه كالداعـي إلـى باقـي الشُّـعَب، إذ الحيـيُّ يخـاف فضيحة الدنيا والآخرة، فيأتمر وينزجر، وهو أسـاس التقوى، وهو مـن مبـادئ الإيمـان، ووجود المبـدأ غير وجود الشـيء، والأساس غير البنيان، نعم وجود المبدأ والأساس يدل أن الشيء كاد أن يوجد، فلا يغرنك كونُ بعضِ الكفرة ذا حياء، لأن الانهماك والاشـتغال في الدنيا لم يرزقه الإيمان، وإن

(١) رواه مسلم (٤/ ٢١٦٢)، والإمام أحمد (٣/ ١٢٣)، وانظر: «الكلمة المقدسة» للمؤلف ص (٣١-٤٠).

وصل إلى فِيه، والغفلة تمنعه أن تنبت فيه شـجرة الإيمان، وتزهـو وتثمـر، فالكافر الحيي كاد أن يدخـل الباب، ولمَّا يدخل، فمن استحيا من الله لا يفقده حيث أمره، ولا يجده حيث نهاه»[1] اهـ.

(١) نقله عنه في «فضل الله الصمد» (٢/ ٥٥).

رابعًا: الحياء أبهى زينة

فإن الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء، ولن يتزين إنسان بزينة هي أبهى ولا أجمل من الحياء، عن أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما كان الفُحْشُ في شيءٍ إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه**»[1].

وقوله: «**شانه**» أي: عابه، والشين: العيب، قال الطيبي: «فيه مبالغة، أي لو قُدِّرَ أن يكون الفحش أو الحياء في جماد لشانه أو زانه، فكيف بالإنسان؟ وأشار بهذين إلى أن الأخلاق الرذلة مِفتاح كل شر، بل هي الشر كله، والأخلاق الحسنة السنية مفتاح كل خير، بل هي الخير كله»[2] اهـ.

فمِن ثَمَّ قيل: «الإيمان عُريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء».

وعن ابن الأعرابي: قال بعض العرب:

إني كأني أرى مَنْ لا حياءَ له ... ولا أمانةَ وَسْطَ القومِ عُرْيانا

(١) تقدم تخريجه ص (٤٣).

(٢) نقله عنه المناوي في «الفيض» (٥/ ٤٦١).

خامسًا: الحياء من صفات الله -عز وجل-

إن الله -سبحانه وتعالى- حيي ستِّير، يستحيي مِنْ عبده -إذا دعاه- أن يرده خائبًا صِفْرَ اليدين، ويستحيي من أن يفضحه يوم القيامة بعد أن ستره في الدنيا، ويستحيي أن يعذب الرجل أو المرأة؛ وقد شاب شعرهما في الإسلام.

فعن سلمان -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الله حَيِيٌّ كريم، يستحيي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردَّهما صِفْرًا خائبتين**»[1].

وعن يعلى بن أمية -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الله تعالى حَيِيٌّ ستِّير يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٧٨)، والترمذي (٥/ ٥٥٦)، وانظر: «صحيح الترمذي» (٣/ ١٧٩)، و«صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٣١).

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٤٠)، والنسائي (١/ ٢٠٠)، والبيهقي (١/ ١٩٨)، والإمام أحمد (٤/ ٢٢٤)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٧/ ٣٦٧)، وصحيح النسائي (١/ ٨٧).

ورُوي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- مرفوعًا: «**إن الله -عز وجل- يستحيي من ذي الشيبة المسلم إذا كان مسدَّدًا لَزومًا للسنة أن يَسأل الله فلا يعطيه**»[1].

وكل نص يرد فيه وصفه تعالى بالحياء فهو حياء محمول على معنى يليق به -سبحانه وتعالى- ولا يشبه حياء المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: «وأما حياء الرب تعالى من عبده فذاك نوع آخر، لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنه حياء كرم، وبر، وجود، وجلال، فإنه تبارك وتعالى حييٌّ كريم، يستحيي

(١) قال الهيثمي: (رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه صالح بن راشد، وثقه ابن حبان، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات) اهـ. من «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٩)، ورواه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٣)، وقال الألباني: «إسناده ضعيف».

من عبـده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صِفرًا، ويسـتحيي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام »[1] اهـ.

وقـال المباركفوري -رحمـه الله تعالـى-: «قوله: (إن الله حيـيٌّ) فعيل من الحيـاء، أي: كثير الحياء، ووصفه تعالى بالحيـاء يُحمل على ما يليق به كسـائر صفاته، نؤمن بها ولا نكيفها»[2] اهـ.

فالله -عز وجل- مـع كمال غناه عن الخلق كلهم- من كرمه يسـتحيي من هتـك الـمعاصي، وفضيحتـه، وإحلال العقوبة به، فيسـتره بما يقيض له من أسـباب السـتر، ويعفو عنـه، ويغفر له، ويتحبـب إليه بالنعم، ويسـتحيي ممن يمد يديه إليه سائلًا متذللًا أن يردهما خاليتين خائبتين.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦١).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٩/ ٥٤٤).

ومعنى «يحب الحياء» أي: من اتصف به، قال التوربشتي: «وإنما كان الله يحب الحياء والستر؛ لأنهما خصلتان تُفضيان به إلى التخلق بأخلاق الله» [1] اهـ.

وقال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: «... من وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامها، وأدخلته على ربه، وأدنته وقربته من رحمته، وصيَّرته محبوبًا له؛ فإنه سبحانه رحيم يُحب الرحماء، كريم يحب الكُرماء، عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي، وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف، حَييٌّ يُحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال، وتر يحب أهل الوتر» [2] اهـ.

---

(١) نقله عنه في «فيض القدير» (٢/ ٢٢٨)، وحديث «تخلَّقوا بأخلاق الله»: لا يُعرف له أصل في شيء من كتب السنة، انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» بتحقيق شعيب الأرناؤوط (١/ ٨٨)، وانظر: «المستدرك على معجم المناهي اللفظية» للشيخ سليمان الخراشي ص (٣٠٥ - ٣٠٨)، و«فتاوى ابن باز» (٦/ ٢٥١، ٢٥٢).

(٢) «الجواب الكافي» ص (٧٧).

فصل

رُوى في أثر إلهي: يقول الرب -عز وجل-: «ما أنصفني عبدي، يدعوني فأستحيي أن أَرُدَّه، ويعصيني، ولا يستحيي مني» [٣].

وقال يحيى بن معاذ: «سبحان من يُذنِب عبدُه، ويستحيي هو»، وعنه -رحمه الله تعالى- أنه قال: «من استحيا من الله مطيعًا، استحيا الله منه وهو مذنب» [٤].

وشرحه ابن القيم فقال:

«من غلب عليه خلق الحياء من الله حتى في حال طاعته؛ فقلبه مُطرِقٌ بين يَدَيْ ربه إطراقَ مُسْتَحيٍ خَجِل، فإذا واقع ذنبًا استحيا الله -عز وجل- من أن ينظر إليه في تلك الحالة لكرامته عليه، فيستحيي أن يرى مِن وليِّه، ومَن يَكرم عليه ما يشينه عنده...، وفي واقع الحياة ما يشهد لذلك، فإن الرجل

---

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦٠).

(٤) «نفسه».

إذا اطلع علـى أَخَصِّ الناس به، وأحبهـم إليه، وأقربهم منه مـن ولدٍ أو صاحب، أو ممن يحب مِن غيرهم وهو يخونه؛ فإنـه يلحقه من ذلـك الاطلاع حياء عجيـب، حتى كأنه هو الجاني، وذلك غاية الكرم»[1].

(١) «نفسه».

سادسًا: الحياء خلق يحبه الله عز وجل، ويحب أهله

تقدم في حديث يعلى بن أمية: «**إن الله تعالى حيي سِتِّير يحب الحياء والستر**» [(١)]، وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال: قال لي أَشَجُّ بني عَصَر: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن فيك لخَلَّتين يحبهما الله -عز وجل-**»، قال: قلت: «وما هما ؟» قال: «**الحِلْم، والحياء**»، قال: قلت: «قديمًا كانتا فِيَّ أم حديثًا؟»، قال: «**قديمًا**»، قال: «الحمد لله الذي جبلني على خَلَّتين يحبهما الله -عز وجل-» [(٢)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله -عز وجل- إذا أنعم على عبدٍ نعمةً يحب أن يرى أثر النعمة عليه، ويكره البؤسَ والتباؤس، ويُبغض السائلَ المُلْحِفَ، ويحب الحييَّ العفيفَ المتعفف**» [(٣)].

(١) تقدم تخريجه ص (٤١).

(٢) تقدم تخريجه ص (١٢).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٦٢٠٢)، (٦٢٠٣)، وصححه الألباني بشواهده، كما في «الصحيحة» رقم (١٣٢٠).

سابعًا: الحياء شريعة جميع الأنبياء عليهم السلام

فقد بيَّن -صلى الله عليه وسلم- أن الحياء لم يزل مُستحسَنًا في شرائع الأنبياء الأولين، وأنه لم يُرْفع، ولم يُنْسَخْ في جملة ما نسخَ الله من شرائعهم، بل تداوله الناس بينهم، وتوارثوه عنهم، وتواصَوْا به قرنًا بعد قرن.

فعن أبي مسعود البدري -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إنَّ مِمَّا أدرك الناسَ من كلامِ النبوة الأولى: إذا لم تستحِ، فاصنع ما شئتَ**»[1].

إن الحياء يمنع من القبيح، وإذا اشتد حياءُ المرءِ صان عِرْضَه، ودفن مساوِيَه، ونشر محاسنه، ومن سقطت صبغة الحياء عن وجهه كما تسقط القشرة الخضراء عن العُود الغَضِّ؛ فقد آذنت حياته الفاضلة بالضمور، وتهيأ الحُطام الباقي أن يكون حطبًا للنار، فيجترئ على المخالفات، ولا يبالي بالمحرمات.

(١) رواه البخاري (١٠/ ٤٣٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠/ ٤٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٧٤).

إذا لم تَصُن عِرضًا ولم تخشَ خالقًا

وتستحيِ مخلوقًا فما شئتَ فاصنعِ

وأنشد رجل من خزاعة:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تَسْتَحْيِ فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العُودُ ما بقي اللِّحاء

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- وهو يعدد عقوباتِ الذنوب والمعاصي:

«ومن عقوباتها: ذَهابُ الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذَهابُ الخيرِ أجمعه، وفي الصحيح عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**الحياء خير كله**»، وقال: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحْيِ فاصنع ما شئت**»، إلى أن قال -رحمه الله تعالى-:

والمقصود: أن الذنوب تُضعِف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس

بسوء حاله، ولا باطِّلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبيح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحال لم يبق في صلاحه مطمع، كما قيل:

وإذا رأى إبليسُ طلعةَ وجهِهِ حَيَّا، وقال: فديتُ مَن لا يُفلِحُ

ومن لا حياء فيه ميت في الدنيا، شَقِيٌّ في الآخرة، وبَيْنَ الذُّنُوب وقِلَّةِ الحَيَاءِ وَعَدَمِ الغَيْرَةِ تَلَازُمٌ من الطَّرَفَيْنِ، وكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْتَدْعِي الآخرَ، ويَطْلُبُهُ حَثِيثًا، ومَنِ اسْتَحْيَا مِنَ الله عِندَ مَعْصِيَتِهِ اسْتَحْيَا اللهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ يوم يَلْقَاهُ، ومَنْ لَمْ يَسْتَحْي مِنْ مَعْصِيَتِهِ، لَمْ يَسْتَحْي اللهُ مِنْ عُقُوبَتِهِ» [1] اهـ.

وقال أيضًا -رحمه الله تعالى-: «ومنها: أنه ينسلخ من القلب استقباحُها، فتصير له عادة، فلا يَستقبح مِن نفسه رؤيةَ الناسِ له، ولا كلامَهم فيه، وهذا عند أرباب الفسوق هو غاية التهتُّك وتمام اللذة، حتى يفتخر أحدهم بالمعصية،

(١) انظر: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، طبعة دار عالم الفوائد ص (١٦٨ - ١٧٠) بتصرف.

ويحدِّث بها من لم يعلم أنه عملها، فيقول: «يا فلان عملتُ كذا وكذا»، وهذا الضَّرْبُ من الناس لا يُعافَوْنَ، وتُسَدُّ عليهم طريقُ التوبة، وتُغلق عنهم أبوابها في الغالب، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: « **كل أمتي معافى إلا المجاهرين**[1]**، وإن من الإجهار: أن يستر الله على العبد، ثم يُصبح يفضَح نفسه، ويقول: (يا فلان، عملتُ يوم كذا وكذا: كذا وكذا)، فيهتك نفسَه، وقد بات يستره** [2] **ربُّه**» [3] اهـ.

(١) رواية الأكثر بالنصب، وفي رواية النسفي «إلا المجاهرون» بالرفع على أنه استثناء منقطع، و«إلا» بمعنى «لكنْ»، وعليه فالمعنى: لكن المجاهرون بالمعاصي لا يعافون، فالمجاهرون مبتدأ، والخبر محذوف، وانظر: «فتح الباري» (١٠/ ٤٨٦).

(٢) رواه - بنحوه - البخاري في «الأدب» (١٠/ ٤٦٨) رقم (٦٠٦٩)، ومسلم رقم (٢٩٩٠).

(٣) «الجواب الكافي» ص (١٤١، ١٤٢).

فصل

حول معنى حديث:

«إذا لم تستحِ، فاصنع ما شئت»

له تأويلان:

أحدهما: ظاهر، وهو المشهور: أي إذا لم تستحِ من العيب، ولم تخشَ العار مما تفعله؛ فافعل ما تحدثك به نفسك من أغراضها حسنًا كان أو قبيحًا، ولفظه أمر، ومعناه توبيخ وتهديد، وفيه إشعار بأن الذي يردع الإنسان عن مواقعة السوء هو الحياء، فإذا انخلع منه كان كالمأمور بارتكاب كل ضلالة، وتعاطي كل سيئة.

قال الحليمي: «المراد به الدلالة على أن عدم الحياء يدعو إلى الاسترسال الذي لا يؤمَن أن يسوء عاقبته، وإن أعظم الموانع من القبائح عند العقلاء الذم، وهو فوق عقوبة البدن، فمن طاب نفسًا بالذم، ولم يخشه فلم يردعه عن قبيحٍ ما هو رادع؛ فلا يلبث شيئًا حتى يرى نفسه مهتوك

الستر، مثلوب العِرض، ذاهبَ ماءِ الوجه، لا وزن له ولا قَدْر، قد ألحقه الناس بالبهائم، وأدخلوه في عِدادها، بل صار عندهم أسوأ حالًا منها، فنبه بهذا القول على ما في ترك الاستحياء من الضرر، لينتهي عنه، ويستشعر من الحياء ما يردع عن إتيان القبيح، فيؤمن مغبته »[1] اهـ.

والآخر: أن يُحمل الأمر على بابه، ويكون المعنى: إذا كنت في فعلك آمنًا أن تستحيي منه لجريك فيه على سنن الصواب، وليس من الأفعال التي يُستحيا منها ؛ فاصنع ما شئت[2].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-:

«فالمعنى - على الأول - يكون تهديدًا، كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، - وعلى الثاني - يكون إذنًا وإباحة، فإن قيل: فهل من سبيل إلى حمله على المعنيين؟ قلت: لا، ولا على قول من يحمل المشترك على جميع

(١) «شعب الإيمان» للبيهقي (٦/ ١٤٣).
(٢) «النهاية» (٥/ ٤٧١).

معانيه، لما بين الإباحـة والتهديد من المنافاة، ولكن اعتبار أحد المعنيين يُوجب اعتبارَ الآخر» [1].

وذهب العيني في شرح الحديث إلى أنه يتضمن معنيين:

١ - معنى الوعيد، أي: افعل ما شئت تُجاز به.

٢ - أنـه على طريق المبالغة في الذم، أي: تركُكَ الحياءَ أعظم مما تفعله.

وقـال -رحمـه الله تعالـى-: «والحديث للتنويه بشـأن الحياء والحثِّ عليه» [2].

وقال ابنُ سِـيدَهْ: معنى الحديث: «أن من لم يستحِ صَنَعَ ما شـاء»، على جهة الذم لترك الحيـاء، وليس يأمره بذلك، وإنما هو أمر بمعنى الخبر [3].

(١) «الجواب الكافي» ص (١٦٩).

(٢) انظر: «فضل الله الصمد» (٢/ ٥٤).

(٣) «لسان العرب» (١٤/ ٢١٨).

ثامنًا: الحياء خلق الأنبياء

-عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام-

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن موسى كان رجلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لا يُرى شيءٌ من جِلده استحياءً، فآذاه مَن آذاه مِن بني إسرائيل، فقالوا: (ما تستر هذا التستر إلا من عيب أو أُدْرَةٍ)**[1]**، وإن الله أراد أن يبرئه، فخلا يومًا وحده ليغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فجمح**[2] **موسى في إِثْرِه يقول: (ثوبي يا حجر، ثوبي يا حجر)، حتى انتهى إلى ملأ**[3] **من بني إسرائيل، فرأوه عُرْيانًا أحسن ما خلق الله، وقالوا: (والله ما بموسى من بأس)، وأخذ ثوبه، وطفق بالحجر ضربًا، فوالله إن بالحجر لندَبًا**[4] **من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا**»[5].

---

(١) الأُدرة (Hydrocele): انتفاخ الخُصية، لتسرب سائل في غلافها.

(٢) جمح: أسرع.

(٣) الملأ: أشراف الناس إذا كانوا مجتمعين.

(٤) النَّدَبُ: أثر الجُرح إذا لم يرتفع عن الجلد، فشُبِّه به أثرُ الضرب في الحَجَر.

(٥) رواه - بنحوه - البخاري أرقام (٢٧٨، ٣٤٠٤، ٤٧٩٩)، ومسلم رقم

فصل

حياء رسول اللّه

-صلى اللّه عليه وسلم-

قال أبو دهبل الجمحي يمدح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

نَـزْرُ الكلام من الحياء تخاله سَقِمًا وليس بجسمه سَقَمُ[1]

ومن حياء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما رواه مالك ابن صعصعة -رضي الله عنه- من تردد النبي -صلى الله عليه وسلم- بين ربه وبين موسى، وسؤال ربه التخفيف في الصلاة حتى جعلها خمسًا، فقال له موسى -عليه السلام-: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك»، قال: «**سألتُ ربي حتى استحييتُ، ولكن أرضى وأُسَلِّم**»[2].

---

(٣٣٩)، والترمذي رقم (٣٢١٩)، وانظر: «فتح الباري» (١/ ٣٨٥)، و«جامع الأصول» (٢/ ٣٢٤).

(١) انظر: «ديوان الحماسة» لأبي تمام (٢/ ٥٢٤).

(٢) رواه البخاري (٧/ ٢٠٢) رقم (٣٨٨٧)، ومسلم رقم (١٦٤)، والترمذي رقم (٣٣٤٣)، والنسائي (١/ ٢١٧، ٢١٨).

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: «كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أَشَدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه، عرفناه في وجهه» [1].

والخِدْر: ناحية البيت يلقى عليه سِتر، فتكون فيه الجارية البكر، والعذراء - إذا كانت متربية في سِترها - تكون أشد حياءً لتسترها حتى عن النساء، بخلاف الداخلة الخارجة، والمراد بالحديث الحالة التي تعتريها عند دخول أحدٍ عليها فيه، لا التي تكون عليها حالة انفرادها واجتماعها بمثلها فيه.

والمقصود أنه -صلى الله عليه وسلم- كان في حيائه الفطري أشد من هذه البكر، وكان في الحياء المكتسب في الذروة العليا منه، وكان إذا كره شيئًا، لا يتكلم به لحيائه -صلى الله عليه وسلم-، بل يتغير وجهه، فنفهم نحن - الصحابة -رضي الله عنهم- كراهته، فما أكرم خلقه -صلى الله عليه وسلم-!.

(١) رواه البخاري (٦/ ٥٦٦)، ومسلم رقم (٢٣٢٠) - واللفظ له - وغيرهما.

ويُروى عن عائشة -رضي الله عنها- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- إذا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ شَيءٌ لَمْ يَقُلْ: لِمَ قُلْتَ كَذَا وكَذا؟ ولكِنَّهُ يَعُمُّ فَيَقُولُ: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ...**»[1].

وعنها -رضي الله عنها- قالت: سَأَلَتِ امرأةٌ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-: كيف تغتسل من حيضتها؟ قالت: فذكرت أنه علَّمها كيف تغتسل، ثم تأخذ فِرْصَة[2] من مَسْك فَتَطَهَّرُ بها، قالت: «كيف أتطهر بها؟»، قال: «**تطهري بها، سبحان الله!**»، واستتر بيده على وجهه، قالت عائشة: واجتذبتُها إليَّ، وعرفتُ ما أراد النبي -صلى الله عليه وسلم- فقلت: «تتبعي بها أثر الدم»[3].

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٧٠)، وإذا تأملت قوله تعالى: ﴿قَالَ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ الآية [التحريم: ٣]، علمتَ تكرُّمَه -صلى الله عليه وسلم- عن استيفاء الإدانة، وإعراضه عن استقصاء الذنب، فما استوفى كريمٌ قط، وقال سفيان: «ما زال التغافل من فعل الكرام».

(٢) فِرْصة مُمَسَّكة: قطعة من قطن أو صوف بها طِيب.

(٣) رواه البخاري رقم (٣١٤) (١/ ٤١٤)، ومسلم (٣٣٢)، وانظر: «شرح النووي» (٤/ ١٣ - ١٥).

وعَـنْ أَنَسٍ -رضـي الله عنه- قـالَ: «بُنِيَ عَلَـى النَّبيِّ -صلـى اللـه عليـه وسـلم- بِزَيْنَـبَ بِنْـتِ جَحْـشٍ بِخُبْزٍ ولَحْمٍ، فَأُرْسِـلْتُ عَلَى الطَّعَام دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ ويَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُـونَ ويَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّـى مـا أَجِـدُ أَحَـدًا أدْعـو، فقلتُ: يا نبـيَّ الله، مـا أجدُ أحـدًا أَدْعُوهُ، فَقَـالَ: «**فَارْفَعُوا طَعَامَكُمْ**»، وبَقِـيَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فَانْطَلَقَ إلى حُجْرَةِ عائشـة، فَقَالَ: «**السَّـلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ**»، فَقَالَتْ: «وَعَلَيْكَ السَّلامُ ورَحْمَةُ اللهِ، كَيْفَ وَجَـدْتَ أَهْلَـكَ؟ بَارَكَ اللهُ لَـكَ»، فَتَقَرَّى[1] حُجَرَ نِسَـائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُـولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَـةَ، ويَقُلْنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَـةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- فإذا ثلاثةٌ من رهْطٍ في البيت يتحدثون، وكان النبيُّ -صلى الله عليه

(١) تقرى: تتبع الحجراتِ واحدة واحدة.

وسلم- شَـديدَ الحَيَاءِ، فَخَرَجَ منْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرةِ عَائِشَةَ، فَمَـا أَدْرِي آخْبَرَتْـهُ أوْ أُخْبِرَ أَنَّ القَـوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ حتى إذا وَضَعَ رِجْلَهُ في أَسْكُفَّةِ [1] البَابِ دَاخِلَةً وأُخْرَى خَارِجَةً أَرْخَى السِّتْرَ بَيْنِي وبَيْنَهُ، وأُنْزِلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ» [2].

ويُـروى عن صَخْـرِ بـن الْعَيلَةِ بن عبـد الله الأَحْمَسِـيِّ -رضي الله عنه- أنَّ رسـولَ اللـهِ -صلى الله عليه وسلم- غَـزَا ثَقِيفًا، فَلَمَّا أن سَـمِعَ ذَلِـكَ صَخْرٌ رَكِبَ فـي خَيْلٍ يُمِدُّ رسُـولَ اللـه -صلى الله عليـه وسـلم- فَوَجَدَ نَبِـيَّ الله قَدِ انْصـرَفَ ولَمْ يَفْتَـحْ، فَجَعَلَ صَخْـرٌ يَوْمَهَا عَهْدَ اللـهِ وذِمَّتَه أنْ لا يُفَـارقَ هَذَا الْقَصْرَ حتى يَنْزِلُوا على حُكْمِ رسـولِ الله -صلى الله عليه وسلم-، فَلَمْ يُفَارقْهُمْ حتى نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُـولِ اللهِ -صلى الله عليه وسـلم-، فَكَتَـبَ إلَيْهِ صَخْرٌ: أمَّـا بَعْدُ، فَـإنَّ ثَقِيفًا قَدْ نَزَلَـتْ عَلَى حُكْمِكَ يا رَسُـولَ الله،

(١) أسكفة الباب: عتبته.

(٢) رواه البخاري رقم (٤٧٩٣) - واللفظ له -، ومسلم (١٤٢٨).

وأَنَـا مُقْبِـلٌ إليهـمْ وَهُـمْ فـي خَيْـلٍ، فأَمَـرَ رَسُـولُ اللـه -صلـى الله عليه وسـلم- بالصَّلَاةِ جَامِعَـةً، فَدَعَا لأَحْمَسَ عَشْـرَ دَعَوَاتٍ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لأَحْمَسَ فِي خَيْلِهَا ورِجَالِهَا**»، وأَتَاهُ الْقَوْمُ فَتَكَلَّم الْـمُغِيَرةُ بْنُ شُـعْبَةَ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله، إنَّ صَخْرًا أَخَـذَ عَمَّتِي وَدَخَلَت فيمـا دَخَلَ فِيهِ الْـمُسـلِمُونَ، فَدَعَاهُمْ، فَقَالَ: «**يَا صَخْرُ، إنَّ الْقَومَ إذا أَسْـلَمُوا أَحْـرَزُوا دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَـهُمْ، فَادْفَـعْ إلَـى الْـمُغِيـرةِ عَمَّتَـهُ**» فَدَفَعَهَـا إلَيْـهِ، وسَـأَلَ نَبِـيُّ الله -صلـى اللـه عليـه وسـلم-: «**مَـا لِبَنِي سُـلَيْم قَـدْ هَرَبُـوا عَنِ الإِسْـلامِ، وتَرَكُـوا ذَلِكَ الْـمَـاءَ؟**» فَقَالَ: يا نَبِيَّ اللـه، أَنْزِلْنِيهِ أَنَا وقَوْمِـي، قَالَ: «**نَعمْ**»، فَأَنْزَلَهُ، وَأَسْـلَمَ - يَعْنِي السُّـلَمِيِّين - فَأَتَوْا صَخْرًا فَسَـأَلُوهُ أَنْ يَدْفَعَ إليهمُ الْـمَاءَ، فَأَبَى، فَأَتَوْا النَّبِيَّ -صلـى الله عليـه وسـلم-، فَقَالُوا: يـا نَبِـيَّ اللهِ، أَسْـلَمْنَا وأَتَيْنَـا صَخْـرًا لِيَدْفَـعَ إلَيْنَا مَاءَنَـا فَأَبَـى عَلَيْنَا، فَأَتَـاهُ، فَقَالَ: «**يَـا صَخْـرُ، إنَّ القَـوْمَ إذا أَسْـلَمُوا أَحْـرَزُوا أَمْوَالَـهُـمْ ودِمَاءَهُـمْ،**

فَادْفَعْ إِلَى الْقَوْمِ مَاءَهُمْ»، قَالَ: نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَرَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- يَتَغَيَّرُ عِنْدَ ذَلِكَ حُمْرَةً؛ حَيَاءً مِنْ أَخْذِهِ الْجَارِيَةَ، وَأَخْذِهِ الْمَاءَ»[1].

(١) رواه أبو داود (٣٠٦٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٣٥١) من طريق أبي داود، وقال: «في إسناده اختلاف»، وأشار إليه الحافظ في «التهذيب» (٤/ ٣٦٢)، وقال في «الإصابة» (٢/ ١٨٠): «أخرجه أبو داود والفريابي في مسنده، والبغوي من طريق أبي نعيم، وأحمد طرفًا منه»، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» رقم (٦٧٠).

تاسعًا: الحياء خُلُقُ الإسلام

ولأجل عظيم أثره، وشَـرَفِ قَـدْرِه، تَصَدَّر الحياءُ طليعةَ الخصائـص الأخلاقية لهذه الملـة الحنيفية، فقد روى أنس -رضي اللـه عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسـلم- قال: «**إنَّ لكل دين خُلُقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء**»[1].

يعني أن الغالب على أهل كل دينٍ سـجيةٌ سوى الحياء، والغالب على أهل ديننا الحياء؛ لأنه متممٌ لمكارم الأخلاق، وإنمـا بُعث المصطفى -صلى الله عليه وسـلم- لإتمامها، ولما كان الإسلام أشرفَ الأديان، أعطاه الله أسنى الأخلاق وأشرفَها، وهو الحياء.

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤١٨١، ٤١٨٢)، وصححه الألباني بطريقيه في «الصحيحة» رقم (٩٤٠).

من حياء الصحابيات
-رضي الله عنهن-

تأسى الصحابة والصحابيات – رضي الله عنهم وعنهن أجمعين – بأسوتهم الحسنةِ رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم–، وتأدبوا بأدبه العالي، فتخلقوا بخلق الحياء، وهاك أمثلة من حيائهن وحيائهم:

فمن ذلك:

أن فاطمة –رضي الله عنها– أتت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– تسأله خادمًا، فقال: «**ما جاء بك يا بنية ؟**»، فقالت: «جئت أسلم عليك»، واستحيَتْ، حتى إذا كانت القابلة أتته، فقالت مثل ذلك...، وفي رواية:

«أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– جاءها وعليًّا وقد أخذا مضاجعهما ...» الحديث، وفيه: «فجلس عند رأسها، فأدخلَتْ رأسَها في اللفاع، حياءً من أبيها» [1].

(١) رواه البخاري (١١/ ١٢١ – فتح)، واللِّفاع: اللِّحاف.

وعن أنس -رضي الله عنه-: «أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها، قال: وعلَى فاطمة -رضي الله عنها- ثوب، إذا قَنَّعَت به رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسَها، فلما رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ما تلقى قال: «**إنه ليس عليكِ بأسٌ، إنما هو أبوكِ وغلامُك**»[1].

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كنت أدخل البيت الذي دُفِن فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي -رضي الله عنه- واضعةً ثوبي، وأقول: «إنما هو زوجي وأبي»، فلما دُفن عمر -رضي الله عنه- واللهِ ما دخلتهُ إلا مشدودةً عَليَّ ثيابي؛ حياءً من عمر -رضي الله عنه-»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤١٠٦)، والبيهقي (٧/ ٩٥)، وصححه في «الإرواء» (٦/ ٢٠٦).

(٢) رواه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٧)، وصححه على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي.

وعنهـا -رضي اللـه عنها- قالـت: جـاءت فاطمة بنت عتبـة -رضي الله عنها- تبايع رسـول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأخذ عليها: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية [الممتحنة: ١٢]، فوضعت يدها على رأسها حياءً، فأعجبـه مـا رأى منها، فقالت عائشـة -رضي اللـه عنها-: «أَقِـرِّي أيتها المـرأة، فوالله ما بايعنا إلا علـى هذا»، قالت: «فنعم إذن»، فبايعها بالآية [(١)].

وَعَنْ عَائِشَـةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: «مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْـتَطِيبُوا بالْـمَـاءِ فَإِنِـي أَسْـتَحْيِيهِمْ مِنْهُ، إنَّ رَسُـول الله -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَفْعَلُهُ» [(٢)].

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٥١)، وزاد الهيثمي عزوه إلى البزَّار، وقال: «ورجاله رجال الصحيح» اهـ من «المجمع» (٦/ ٣٧).
(٢) انظر تخريجه ص (٩٠).

وعَنْ أَسْـمَاءَ بِنْـتِ أبي بَكْرٍ -رضي اللـه عنهما- قَالَتْ: تَزَوَّجَنِـي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ في الأرْضِ مِـنْ مَالٍ ولا مملوكٍ ولا شيء غَيْرَ نَاضِحٍ[1]، وغَيْر فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وأَسْتَقِي الْـمَـاءَ وَأَخْـرِزُ غَرْبَـهُ[2] وَأَعْجِـنُ، ولَـمْ أَكُنْ أُحْسِـنُ أَخْبِزُ، وكَانَ يَخْبِـزُ جَـارَاتٌ لِي مِنَ الأنْصَـارِ، وكُنَّ نِسْـوَةَ صِدْقٍ، وكُنْـتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رسـول الله -صلـى اللـه عليه وسـلم- عَلَـى رأْسِـي، وهِي مِنِـي عَلَى ثُلُثَـيْ فَرْسَـخٍ[3]، فَجِئْتُ يَوْمًـا والنَّوَى عَلَى رَأْسِـي، فَلَقِيتُ رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- ومَعَه نَفَرٌ من الأنْصارِ فَدَعَانِـي، ثُـمَّ قَـالَ: «إخْ إخْ»[4] لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْـتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِـيرَ مَعَ الرِّجَـالِ، وذَكَرْتُ الزُّبَيْـرَ وغَيْرَتَـهُ، وكَانَ أَغْيَرَ

(١) الناضح: البعير الذي يُستقى عليه.
(٢) أخرز غَربه: أخيط قِرْبَةَ الماء.
(٣) ثلثي فرسخ: حوالي ثلاثة كيلو مترات.
(٤) إخ إخ: كلمة تقال لإناخة الجمل، يقال: أناخ الجمل: أبْرَكَه.

النَّاس، فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنِّي قد اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ، فَقُلْتُ: «لَقِيَنِي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعَلَى رأْسي النَّوَى، ومَعَهُ نَفَرٌ من أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لأرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ، وعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ»، فَقَالَ : «واللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِك مَعَهُ»، قالَت: «حَتَّى أَرْسَلَ إلَيَّ أَبو بكرٍ بَعْدَ ذلكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الْفَرسِ، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي» [1].

(١) رواه البخاري (٩/ ٢٨١، ٢٨٢)، ومسلم رقم (٢١٨٢)، وغيرهما.

من حياء الصحابة
-رضي الله عنهم-

وهذا الصديق -رضي الله عنه- يقول وهو يخطب في المسلمين: «أيها الناس، استحيوا من الله، فوالله ما خرجتُ لحاجةٍ منذ بايعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أريد الغائط إلا وأنا مُقَنِّعٌ رأسي حياءً من الله» [1].

وهذا الفاروق عمر -رضي الله عنه- يقول: «من قلَّ حياؤه، قل ورعه، ومن قل ورعه، مات قلبه»، ويقول: «من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وُقي».

ومن الصحابة الأطهار -رضي الله عنهم أجمعين- مَن اختصَّه الله -عز وجل- بمزية خاصة في هذا الخلق الكريم، فهذا أمير البَرَرة، وقتيل الفجرة، ذو النورين عثمان ابن عفان -رضي الله عنه- يقول فيه الصادق المصدوق

(١) انظر: «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (٢٠).

-صلى الله عليه وسلم-: «**ألا أستحيي من رجلٍ ؛ والله إن الملائكة لتستحيي منه ؟**»[1].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**الحياء من الإيمان، وأحيا أمتي عثمان**»[2].

---

(١) أصله في مسلم رقم (٢٤٠٢)، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: (كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسوَّى ثيابه -قال محمد أحد الرواة: ولا أقول ذلك في يوم واحد- فدخل، فتحدث، فلما خرج قالت عائشة -رضي الله عنها-: «دخل أبو بكر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له، ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك» فقال: «**ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة**»، وفي رواية أنه قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت -إن أذنت له على تلك الحال- أن لا يَبْلُغَ إليَّ في حاجته**».

ومعنى تهتش له: تقابله بطلاقة وجه، و«لم تباله»: لم تكترث به، ولم تحتفل لدخوله.

(٢) رواه ابن عساكر من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٨٢٨)، وبيَّن أن شطره الأول متفق عليه من حديث ابن عمر، وللآخر شاهد من حديث أنس =

وعن الحسن -رحمه الله تعالى- وذكر عثمانَ -رضي الله عنه- وشدةَ حيائه، قال: «إن كان ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوبَ ليُفيضَ عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيمَ صُلْبَه».

وعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: «إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صُلبي حتى آخذ ثوبي حياءً من ربي عز وجل».

وعن قتادة قال: «كان أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- إذا اغتسل في بيت مظلم تجاذب، وحنى ظهره، حتى يأخذ ثوبه، ولا ينتصب قائمًا».

= -رضي الله عنه-، بلفظ: «وأصدقهم -أي أمتي- حياءً عثمان» أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في «الصحيحة»: «وهو كما قالا».

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: «كان أبو موسى -رضي الله عنه- إذا نام لبس تُبَّانًا [1] مخافة أن تنكشف عورته» [2].

ويُروى عن عبادة بن نسي قال: رأى أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- قومًا يقفون في الماء بغير أزر، فقال: «لَأن أموتَ ثم أُنْشَرَ، ثم أموتَ ثم أُنشرَ، ثم أموت ثم أنشر، أحبُّ إليَّ من أن أفعل مثل هذا».

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه لم يكن يدخل الحمامَ إلا وحده، وعليه ثوب صفيق، يقول: «إني أستحيي الله أن يراني في الحمام متجردًا» [3].

وقال عمرو بن العاص -رضي الله عنه- بعد إسلامه: «إنه لم يكن شخص أبغضَ إليَّ منه - يعني: النبي صلى الله عليه وسلم- فلما أسلم لم يكن شخص أحبَّ إليه منه، ولا أَجَلَّ

(١) التُّبَّان: سروال صغير يستر العورة المغلظة فقط.
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٩٩).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٣٥٥).

فـي عينه منه، قـال: «ولو سُـئلتُ أن أصفه لكـم لما أطقت لأنـي لم أكن أملأ عينـيَّ منه إجلالًا لـه» [1]. وهذا هو حياء الإجلال والهيبة.

وعن أبـي واقدٍ الليثي -رضي الله عنه- أن رسـول الله -صلـى الله عليه وسـلم- بينما هو جالس في المسـجد، والنـاس معه، إذ أقبل ثلاثةُ نَفَرٍ، فأقبل اثنان إلى رسـول الله -صلـى الله عليه وسـلم- وذهب واحد، قـال: فوقفا على رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم-، فأمـا أحدهما فرأى فُرْجَـةً في الحَلْقَةِ فجلس فيهـا، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله -صلى الله عليه وسـلم- قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى**

(١) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (١٢١) عن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-.

إلى الله فآواه [1]، وأما الآخر فاستحيا [2]، فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض، فأعرض الله [3] عنه» [4].

وعن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس -رضي الله عنهما- يقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. قال: سألته عنها، فقال:

---

(١) أوى إلى الله، أي: لجأ إلى الله، «**فآواه**» أي: جازاه بنظير فعله، بأن ضمه إلى رحمته ورضوانه، وفيه الثناء على من زاحم في طلب الخير.

(٢) فاستحيا، أي: ترك المزاحمة كما فعل رفيقه حياءً من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وممن حضر، وفي لفظ الحاكم: «ومضى الثاني قليلًا، ثم جاء فجلس»، والمعنى أنه استحيا من الذهاب عن المجلس كما فعل رفيقه الثالث، «**فاستحيا الله منه**» أي: رحمه، ولم يعاقبه.

(٣) فأعرض الله عنه، أي: سخط عليه، وهو محمول على من ذهب معرضًا لا لعذر، هذا إن كان مسلمًا، ويحتمل أن يكون منافقًا، واطلع النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمره، كما يحتمل أن يكون قوله: «**فأعرض الله عنه**» إخبارًا أو دعاءً.

(٤) رواه البخاري (١/ ١٥٦ - فتح)، وغيره.

أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا [1] فيُفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيُفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم [2].

وفي رواية: كان الرجل يجامع امرأته فيستحيي، أو يتخلى فيستحيي، فنزلت: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾[3] الآية [هود: ٥].

وفي رواية أبي أسامة: «كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تغشوا بثيابهم كراهة أن يُفضوا بفروجهم إلى السماء» [4].

(١) يتخلوا: يقضوا الحاجة في الخلاء، وهم عراة، كما في «الفتح» (٨/ ٣٥٠).
(٢) رواه البخاري (٨/ ٣٤٩ - فتح) رقم (٤٦٨١).
(٣) ()«نفس المرجع» رقم (٤٦٨٢).
(٤) «نفسه» (٨/ ٣٥٠).

من حياء الصالحين

عـن ابن أبي الهذيـل قـال: «أدركنا أقوامًـا وإنَّ أحدهم يسـتحيي مـن اللـه في سـواد الليـل»، قـال الثـوري: يعني التكشف [1].

وعن أبي المستضيء معاوية بن أوس قال: «رأيت هشام ابن عمار إذا مشـى أطـرق إلى الأرض، لا يرفع رأسـه إلى السماء حياءً من الله -عز وجل-» [2].

وقال الحسـين بن محمد بن خُسْـرو: «جـاء أبو بكر ابن ميمـون فدقَّ الباب على الحميدي، وظن أنه أذن له، فدخل فوجده مكشـوف الفخذ، فبكى الحميديُّ، وقال: والله لقد نظرتَ إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلتُ!» [3].

وقـال أبـو جعفر محمد بـن أبـي حاتم: قـال لي بعض أصحابـي: كنت عند محمد بن سـلام، فدخـل عليه محمد

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٠٧).
(٢) «نفس المرجع» (١١/ ٤٣٠).
(٣) «نفسه» (١٩/ ١٢٢).

ابن إسماعيل البخاري حين قدم من العراق، فأخبره بمحنة الناس وما صنع ابن حنبل وغيره من الأمور، فلما خرج من عنده قال محمد بن سلام لمن حَضَرَه: «أترون البِكْرَ أشدَّ حياءً من هذا؟» [1].

وقال أبو العباس الأزهري: سمعت خادمة محمد ابن يحيى الذُّهْلي وهو على السرير يُغَسَّل تقول: «خدمته ثلاثين سنة، وكنت أضع له الماء، فما رأيت ساقه قط، وأنا مِلْكٌ له» [2].

وقال السخاوي: «قال لي - أي: الشيخ شمس الدين المقدسي -: كنت إذا انكشف ساقي وأنا في خلوتي أبادر لستره [3] مع الاستغفار» [4].

---

(١) «نفسه» (١٢/ ٤١٨).

(٢) «نفسه» (١٢/ ٢٧٩).

(٣) كذا بالأصل «انكشف»، «لستره»، ولعلها «انكشفت»، «لسترها» لأن الساق مؤنثة، والعرب يؤنثون المثنى في جسم الإنسان، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾.

(٤) «المختار المصون من أخبار القرون» (١/ ٥٤٠).

فصل

الحياء بين الرجل والمرأة

تقول الدكتورة فاطمة نصيف – وفقها الله تعالى –: «إذا كان الحياء في الرجل جميلًا، فهو في المرأة أجمل، وإذا كان الحياء في الرجل فضيلة، فهو في المرأة أفضل؛ لأنه يزيدها زينة وبهاءً، ويجعلها محبوبة مرغوبة، فسِمة الخير في المرأة الحياء، وسمة الشر فيها القِحَة، فالحياء حامي الفضيلة اليقظ، وحارسُها الأمين، الذي لا يسمح لكائن أن ينتهك حرمتها، أو يعتديَ على ساحتها، وهو الذي يمنع الرذيلة أن تحل مكانًا تبوأته الفضيلة، بل إنه يباعد بينهما بكل ما أوتي من قوة إرادة، وصحة عزيمة»[1] اهـ.

(١) «حقوق المرأة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة» (١١٦).

فصل

الحجاب حارس الحياء

إن الوجه المصون بالحياء، كالجوهر المكنون في الوعاء، ولن تتزين امرأة بزينة هي أبهى ولا أجمل من الحياء، الذي قال فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما كان الحياء في شيء إلا زانه**» [1].

إن الحجاب والحياء توأمان لا يفترقان، وصِنوانٌ لا ينفصلان، ومِن فقه الإمام البيهقي -رحمه الله تعالى- أنه عقد في كتابه «شعب الإيمان» بابًا كبيرًا هو «باب الحياء»، وجعل ضمن فصوله فصلًا في «حجاب النساء» [2]، إشارة منه إلى علاقة التلازم بين الحجاب والحياء.

إن ميل المرأة إلى ستر جسدها ميل فطري سَوِيٌّ يتسق مع حيائها من التكشف والابتذال، ولقد أبرز القرآن الكريم

---

(١) تقدم تخريجه ص (٤٣).

(٢) «شعب الإيمان» (٦/ ١٦٤ - ١٧٤).

خلـق الحياء في ابنتَـيْ الرجل الصالح، اللتيـن انحدرتا من بيت كريم، كله عفة، وطهارة، وحسـن تربيـة، وآية ذلك ما قصَّه القرآن الكريم مما يدل على صيانتهما وحيائهما.

فعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في تفسـير قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، قال: «ليسـت بسـلفع [١] من النسـاء خرَّاجـة ولاَّجة، ولكن جـاءت مسـتترة، قـد وضعـت كُـمَّ دِرعهـا علـى وجههـا استحياءً»[٢].

وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: «كنت أدخـل البيت الـذي دُفن فيه رسـول الله -صلـى الله عليه وسـلم- وأبـي -رضي اللـه عنـه- واضعةً ثوبـي، وأقول: (إنمـا هو زوجي وأبي)، فلما دُفـن عُمر -رضي الله عنه-، واللـه مـا دخلتـهُ إلا مشـدودةً عَلَـيَّ ثيابـي حياءً مـن عمر

(١) امرأة سَلْفَع: سليطة جريئة على الرجال.
(٢) تقدم تخريجه ص (٢٠).

-رضي الله عنه-» [1]، فإذا كان هذا حياءها ممن هو في بطن الأرض فكيف بالحياء ممن على ظهرها؟!

وتأمل ما رُوي عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر: أن فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قالت: «يا أسماء، إني قد استقبحت ما يُصنع بالنساء [2]، أن يُطرح على المرأة الثوبُ فيصفها»، فقالت أسماء: «يا بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ألا أريكِ شيئًا رأيتُه بالحبشة؟»، فدعت بجرائد رطبة، فَحَنَتْها، ثم طرحَتْ عليها ثوبًا، فقالت فاطمة: «ما أحسن هذا وأجمله! تُعرف به المرأة من الرجل، فإذا مِتُّ أنا فاغسليني أنتِ وعليٌّ، ولا يدخل عَلَيَّ أحد»، فلما تُوفِّيتْ غسلها علي وأسماء -رضي الله عنهما- [3].

(١) تقدم تخريجه ص (٧٥).

(٢) يعني: بعد موتهن عند وضعهن على النعش.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٣)، والبيهقي (٤/ ٣٤، ٣٥)، وفي سنده جهالة، قال ابن التركماني: «في سنده من يحتاج إلى كشف حاله».

فتأمل كيف أن فاطمة -رضي الله عنها- بَضعة النبي -صلى الله عليه وسلم- استقبحت أن يصفَ الثوبُ المرأةَ وهي ميتة، فلا شك أن وصفه إياها وهي حية أقبح وأقبح، ومنافاته للحياء أشد وأصرح.

وعن فاطمة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- «جاءها وعليًّا، وقد أخذا مضاجعهما، فجلس عند رأسها، فأدخلت رأسها في اللفاع حياءً من أبيها...»[1] الحديث.

والحادثة التالية - إن صحت - تُجَسِّد التلازم بين الحياء والحجاب:

فعن فرج بن فضالة، عن عبد الخبير بن ثابت بن قيس ابن شماس، عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يقال لها: أم خلَّاد، وهي منتقبة، تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي

(١) تقدم تخريجه ص (٧٤).

-صلى الله عليه وسلم-: «جئتِ تسألين عن ابنِكِ وأنت منتقبة؟!» فقالت: «إن أُرْزَأ ابني فلن أُرْزَأَ حيائي»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ابنك له أجر شهيدين**» قالت: «ولم ذاك يا رسول الله؟»، قال: «**لأنه قتله أهل الكتاب**»[1].

ومما يُذكر في كتب التاريخ والأدب أن النابغة أحد فحول الشعر الجاهلي قد مرت به امرأة النعمان بن المنذر في مجلس، فسقط نَصِيفُها «أي برقعها» الذي كانت تقنعت به، فسترت وجهها بذراعها، وانحنت على الأرض ترفع النصيف بيدها الأخرى، فطلب النعمان من النابغة أن يصف هذه الحادثة في قصيدة، فأنشأ القصيدة التي مطلعها:

أمِن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزودِ

إلى أن قال:

---

(١) رواه أبو داود (٣/ ٥، ٦) رقم (٢٤٨٨)، وفي إسناده عبد الخبير بن ثابت: منكر الحديث، والرُّزْء: المصيبة.

سـقط النَّصِيـفُ ولـم تُرِدْ إسـقاطَه
فـتـنـاولـتْـهُ واتـقـتـنـا بـالـيـدِ

إن التجرد من خلق الحياء مدرجة الهلاك، والسقوط من دَرْكٍ إلـى دَرْكٍ إلى أن يصبح الإنسـان صفيق الوجه، ويُنْزَعَ منـه خلق الإسـلام، فيجترئ علـى المخالفـات، ولا يبالي بالمحرمـات، وهناك تلازم بين سـتر ما أوجب الله سـتره، وبيـن التقـوى، كلاهما لبـاس، هذا يسـتر عـوراتِ القلب ويزينه، وذاك يستر عوراتِ الجسم ويزينه، وهما متلازمان:

فمـن شـعور التقـوى للـه والحيـاء منـه ينبثق الشـعور باستقباح التكشف والحياء منه، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ ﴾ الآية [الأعراف: ٢٦].

قال وَهْبُ بْـنُ مُنبِّهٍ: «الإيمَـانُ عُرْيَانٌ، ولِبَاسُـهُ التَّقْوَى، وزِينَتُهُ الْحَيَاءُ، ومَالُهُ الْعِفَّةُ» (١).

(١) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا ص (٢١).

إن مسارعة آدم وحواء إلى ستر عوراتهما بأوراق الشجر دليل على أن الحياء عنصر أصيل مركوز في فطرة الإنسان، فعليه أن يهتم به، ويحافظ عليه، ويصونه من أن يُثلم، ففي صيانته وسلامته صيانةٌ وسلامةٌ للفطرة من أن تُمسخ أو تُحرف، لأن في انحرافها مسخًا وتشويهًا لآدميته.

وقد أكثر الأدباء والشعراء من الحث على الحجاب الشرعي باعتباره من لوازم الحياء والعفة، وهاك شيئًا من أشعارهم في هذا المعنى:

فمن ذلك قول الكاتبة ملك حفني ناصف:

إن الفتاة حديقة وحياؤها ... كالماء موقوفًا عليه بقاؤها

بفروعها تجري الحياة فتكتسي ... حُللاً يروق الناظراتِ رَواؤها

إيمانها بالله أحسن حلية ... فيها فإما ضاعَ ضاعَ بهاؤها

لا خير في حُسْن الفتاة وعلمها ... إن كان في غير الصلاح رضاؤها

فجمالها وقفٌ عليها إنما ... للناس منها دينُها ووفاؤها[1]

(١) «آثار باحثة البادية مَلَك حفني ناصف» ص (٣٠٩).

وقالت عائشة التيمورية:

بيد العفاف أصون عِزَّ حجابي وبعصمتي أعلو على أترابي
وبفكرة وقَّادة وقريحة نقادة قد كملت آدابي
ما ضرَّني أدبي وحُسْنُ تعلمي إلا بكوني زهرة الألبابِ
ما عاقني خجلي عن العليا ولا سدلُ الخمار بلمتي ونقابي [1]

وقال الشاعر:

ليسَ الحُليُّ التي بالمال نملكُها
أغلى الحُليِّ حِلَى الأخلاق والأدبِ
ويا لقُبْحِ فتاةٍ لا حياءَ لها
وإن تحلَّتْ بغالي الماسِ والذهبِ
ما أجمل العين تُغضي وهي فاتنة
لله غضَّت بلا كبت ولا رَهَب
ما أجملَ الوجه إذ يحمر من خجلٍ
وإن دعا الحقُّ لم يخجل ولم يهَبِ
تذكري الوردة البيضاء يانعة
يفوح منها الشذى يُشْتَمُّ عن كَثَبِ

(١) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» ص (٣٠٩).

حتى إذا ابتُذِلت ماتت نضارتُها

وألقيت كالقذى ما فيه من رَغَبِ

آخر:

ليس للبنت في السعادة حظ إن تناءى الحياءُ عنها وولَّى

فاجعلي شيمة الحياء خمارًا فهو بالغادة الكريمة أولى

آخر:

صوني حياءكِ صوني العِرْض لاتَهِني

وصابري واصبري لله واحتسبي

إن الحياء من الإيمان فاتخذي

منه حُليَّكِ يا أختاه واحتجبي

آخر:

لا وازع يزع الفتاة كمثل ما تزع الفتاةَ صيانةٌ وحياءُ

وإذا الحياء تهتكت أستاره فعلى العفاف من الفتاة عفاءُ[1]

(١) «أستاذ المرأة» ص (٢٥، ٢٦).

وقال الشاعر الأزدي:

نصَّ الكتاب على الحجاب ولم يُبحْ
للمسلمين تبرج العذراءِ

ماذا يَريبك من حجابٍ ساترٍ
جِيدَ المهاة [1] وطلعة الذلفاء[2]

ماذا يَريبك من إزارٍ مانعٍ
وزر الفؤاد وضلة الأهواء

ما في الحجاب سوى الحياء فهل من
التهذيب أن يهتكن سِتر حياء

أسفينةَ الوطنِ العزيز تبصري
بالقعرِ لا يغررك سطحُ الماء[3]

(١) الجيد: العنق أو مُقدَّمه، المهاة: الشمس، والبقرة الوحشية.
(٢) الذلَف: صِغَر الأنف.
(٣) «الأدب العصري» (٢/ ٥٦).

فصل

أقسام الحياء باعتبار مَن يُستحيا منه

أولًا: الاستحياء من النفس

الذين يستحيي منهم الإنسان: الله -عز وجل-، ثم الملائكة، والناس، ونفسه، فمن استحيا من الناس، ولم يستحي من نفسه؛ فنفسه أخَسُّ عنده من غيره؛ لأنه يراها أحقر من أن يستحيي منها، ومن استحيا منها، ولم يستحيي من الله؛ فلعدم معرفته بالله -عز وجل-، فمِن ثَمَّ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للرجل الذي استوصاه:

«أوصيك أن تستحييَ من الله كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك» [1].

(١) رواه من حديث سعيد بن يزيد -رضي الله عنه- الإمام أحمد في «الزهد» ص (٤٦)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» ص (٥٠)، وغيرهما، وقال الألباني: «إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات»، على خلاف في صحبة سعيد ابن يزيد، وهو ابن الأزور، وقد أثبتها له أبو الخير هذا - يعني مرثدًا الراوي عن سعيد - وهو أدرى بها من غيره» اهـ. من «الصحيحة» رقم (٧٤١).

فحـق الإنسـان إذا هَمَّ بقبيـح أن يتصور أحدًا من نفسـه كأنه يراه، فالإنسان يستحيي ممن يكبر في نفسه، ولذلك لا يسـتحيي من الحيوان[1]، ولا من الأطفال، ولا من الذين لا يميزون، ويستحيي من العالِم أكثر مما يستحيي من الجاهل، ومن الجماعة أكثر مما يسـتحيي مـن الواحد، وينبغي على الإنسـان إذا كبرت عنده نفسُه، أن يكون استحياؤه منها أكثر من اسـتحيائه مـن غيرها، ومن ثَمَّ قال بعض السـلف: «من عمل في السِّـرِّ عملًا يَسْتَحْيي منه في العلانية؛ فليس لنفسِهِ عنده قدرٌ».

(١) ومن الطرائف في هذا المعنى ما رواه الخطيب في «الجامع» عن علان الوراق، قال: رأيتُ العتابي يأكل خبزًا على الطريق بباب الشام، فقلت له: «ويحك! أما تستحيي؟!»، فقال لي: «أرأيت لو كُنَّا في دارٍ فيها بقرٍ، أكنت تحتشم أن تأكلَ، وهي تراك؟» فقلت: «لا»، قال: «فاصبر حتى أُعْلِمَك أنهم بقر»، ثم قام، فوعظ، وقصَّ، ودعا، حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: رُوِيَ لنا من غير وجهٍ: «أنَّ مَنْ بلغ لسانُهُ أرنبةَ أنفِهِ لم يدخل النار»، قال: فما بقي منهم أحد إلا أخرج لسانَه، يُومئ به نحو أرنبته، ويَقْدُره: هل يبلغها؟ فلما تفرقوا قال لي العتَّابي: «ألم أخبرك أنهم بقر؟» اهـ. (٢/ ١٦٧، ١٦٨).

وسُـئل بعضهم عن المروءة، فقال: «هي أن لا تفعل في السر أمرًا، وأنت تستحيي أن تفعله جهرًا».

إن حياء المرء من نفسه هو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسـها بالنقص وقناعتها بالدون، فيجد نفسـه مسـتحييًا من نفسـه، حتى كأن له نفسـين: يسـتحيي بإحداهما من الأخرى، وهذا من أكمل ما يكون من الحياء، فـإن العبد إذا اسـتحيا من نفسـه فهو بأن يسـتحيي من غيره أجدر.

وقال الحسين بن مُطير:

ونفسَك أكرِمْ عن أمور كثيرة فمالك نفس بعدها تستعيرها

ولا تقرب المرعى الحرام فإنما حلاوتُه تفني ويبقى مريرُها

ثانيًا: الاستحياء من الملائكة

الحياء من أخلاق الملائكة، كما يُبين عنه حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- مرفوعًا: «**ألا أستحيي من رجل؛ واللهِ إن الملائكةَ لتستحيي منه؟**»[1]، وعنها -رضي الله عنها- أن جبريل -عليه السلام- امتنع من دخول بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- استحياء منها، فناداه بصوت خَفِيٍّ، وأجابه النبي -صلى الله عليه وسلم- بصوت خفي، ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: «**ولم يكن ليدخل عليكِ، وقد وضعتِ ثيابَكِ، وظننتُ أن قد رَقَدتِ، فكرِهْتُ أن أوقظكِ...**»[2] الحديث.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: «قال بعض الصحابة -رضي الله عنهم-: (إن معكم من لا يفارقكم، فاستحيوا منهم، وأكرموهم)، ولا ألأم ممن لا يستحيي من الكريم العظيم القدر، ولا

---

(١) تقدم تخريجه (٧٨).

(٢) أصل الحديث أخرجه مسلم (٣/ ١٤)، والنسائي (١/ ٢٨٦)، والإمام أحمد (٦/ ٢٢١).

يُجِلُّه، ولا يوقره، وقد نبه سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، أي: استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام، وأكرموهم، وأجِلُّوهم أن يَرَوْا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه من هو مثلكم، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فإذا كان ابن آدم يتأذى ممن يفجر ويعصي بين يديه، وإن كان قد يعمل مثل عمله، فما الظن بأذى الملائكة الكرام الكاتبين؟ والله المستعان»[1] اهـ.

وعن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]، قال: «ما على أحدكم إذا خلا أن يقول: (اكتب، رحمك الله)، فيُملي خيرًا؟».

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» ص (١٢٧، ١٢٨).

ثالثًا: الاستحياء من الناس

الحياء من الناس خلق حسن جميل، يمنع من المعايب، ويُشيع الخير والعفاف، ويُعوِّد النفسَ ركوبَ الخصال المحمودة.

قال ابن حبان: «الواجب على العاقل أن يعوِّد نفسه لزوم الحياء من الناس، فإن من أعظم بركته تعويدَ النفس ركوبَ الخصال المحمودة، ومجانبتها الخلال المذمومة» [(١)].

وقد نصَّب النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الحياء حَكَمًا على أفعال المرء، وجعله ضابطًا وميزانًا، فعن النواس بن سمعان -رضي الله عنه- أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن البر والإثم؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**البِرُّ: حسن الخُلُق، والإثم: ما حاك[(٢)] في صدرك، وكرِهتَ أن يطَّلِعَ عليه الناس**» [(٣)].

(١) «روضة العقلاء» ص (٥٨).

(٢) أي: تحرك فيه وتردد، ولم ينشرح له الصدر، وحصل في القلب منه الشك، وخوفُ كونه ذنبًا.

(٣) أخرجه مسلم رقم (٢٥٥٣) في البر والصلة، والترمذي رقم (٢٣٩٠) في «الزهد»، والإمام أحمد (٤/ ١٨٢).

وعن أسامة بن شريك -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ما كَرِهْتَ أن يراه الناسُ فلا تفعلْه إذا خَلَوْتَ**» [1].

وعن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: «لا خير فيمن لا يستحيي من الناس».

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «من لا يستحيي من الناس؛ لا يستحيي من الله».

وقال بعضهم: «أحْيِ حياءك بمجالسة من يُسْتَحْيَا منه».

وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يُصِبْ من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي؛ لكفاه».

وقد تقدم أن رجلًا قال للنبي -صلى الله عليه وسلم-: أوصني، فقال: «**أوصيك أن تستحيي من الله تعالى كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك**» [2]، فلا أحد من الفسقة

---

(١) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (٢٦)، والضياء في «المختارة» (١/ ٤٤٩)، وغيرهما، وحسَّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٥٥).

(٢) تقدم تخريجه ص (٩٦).

إلا وهو يستحيي من عمل القبيح عن أعين أهل الصلاح وذوي الهيئات والفضل أن يروه وهو فاعله، والله مطلع على جميع أفعال خلقه، فالعبد إذا استحيا من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه؛ تجنب جميع المعاصي، فيا لها من وصية ما أبلغها، وموعظة ما أجمعها!

وقال بعض السلف لابنه:

«إذا دعتك نفسك إلى ذنب فارمِ ببصرك إلى السماء، واستحيي ممن فيها، فإن لم تفعل؛ فارمِ ببصرك إلى الأرض، واستحيِ ممن فيها، فإن كنت لا ممن في السماء تخاف، ولا ممن في الأرض تستحيي، فاعدد نفسك في عداد البهائم».

وعن ابن سيرين قال: خرج زيد بن ثابت يريد الجمعة، فاستقبل الناسَ راجعين، فدخل دارًا، فقيل له، فقال: «إنه من لا يستحيي من الناس، لا يستحيي من الله» [1].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٣٩)، وانظر: «أدب الدنيا والدين» ص (٢٤٩).

وكان الشيخ محمد بن أحمد الغمري شديد الحياء، لا ينام بحضرة أحدٍ أبدًا، ويقول: «أخاف أن يخرج مني ريح، وأنا نائم»[1].

وعن جعفر الصائغ قال: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجلٌ ممَّن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكأن أحمد لم يردَّ عليه ردًّا تامًّا، وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله، لِمَ تنقبض مني؟! فإني قد انتقلتُ عما كنت تعهدني برؤيا رأيتُها، قال: وأيَّ شيءٍ رأيتَ؟ قال: رأيتُ النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم كأنَّه على علوٍّ من الأرض وناسٌ كثير أسفل جلوسٌ، قال: فيقوم رجل منهم إليه، فيقول: «ادعُ لي»، فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيري، قال: فأردتُ أن أقوم، فاستحييتُ من قبيح ما كنتُ عليه، قال لي: «يا فلان، لِمَ لا تقومُ إليَّ فتسألني أن أدعو

(١) «المختار المصون من أعلام القرون» (٢/ ٧٥٨).

لك؟» قال: قلتُ: يا رسول الله، يقطعني الحياءُ لقبيح ما أنا عليه، فقال: «إن كان يقطعك الحياء؛ فقم فسلني أدعُ لك؛ فإنك لا تسب أحدًا من أصحابي»، قال: «فقمتُ، فدعا لي، فانتبهتُ وقد بَغَّضَ اللهُ إليَّ ما كنتُ عليه»، قال: فقال لنا أبو عبد الله: «يا جعفر، يا فلان، حدِّثوا بهذا، واحفظوه؛ فإنه ينفع»[1].

(١) «كتاب التوابين» ص (٢٦٤، ٢٦٥).

فصل

مسائل من « فقه الحياء »

الأولى: هل يؤجر مَن فعل المعروفَ حياءً ؟

سُئل الحسن عن الرجل يسأله آخرُ حاجةً، وهو يبغضه، فيعطيه حياءً: «هل له فيه أجر؟»، فقال: «إن ذلك لمن المعروف، وإن في المعروف لأجرًا».

وسُئل ابن سيرين: عن الرجل يتبع الجنازة لا يتبعها حِسْبةً، يتبعها حياءً من أهلها؛ أله في ذلك أجر؟ فقال: «أجرٌ واحد؟! بل أجران: أجر الصلاة على أخيه، وأجرٌ لصلته الحَيَّ».

وقد يُقال: إن هذه الأعمال خير ومعروف في ذاتها؛ وإن لم ينو بها القُربة، لما يحصل بها من النفع المتعدي، ولقوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

وأمـا الثواب عليها مـن الله فمختص بمـن فعلها ابتغاء مرضاة الله تعالى؛ لقوله -عز وجل- بعدها مباشرة: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، ولقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى...**» الحديث، متفق عليه.

الثانية: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف

لا يُفهم من الحض على الحياء - وإن أضرَّ بحق المستحيي - أن من استغل هذا الحياء عارٍ عن الإثم والحَيْف، فقد قال العلماء -رحمهم الله تعالى-: «أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف» مستنبطين ذلك من قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يحل مال امرئٍ مسلم إلا بطيب نفسٍ منه**» [1]، وعن أبي حميد - رضي الله عنه - قال: «لا يحل للرجل أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفسه، وذلك لشدة ما حرَّم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مال المسلم على المسلم» [2].

وقال الإمام ابن مفلح الحنبلي -رحمه الله تعالى-:

«فصل في سؤال الأخ والوالد والولد، والأخذ ممن أعطى حياءً».

---

(١) رواه جماعة من الصحابة -رضي الله عنهم- وصححه الألباني في «الإرواء» (٥/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «الإرواء» (٥/ ٢٧٩).

قـال حَرْبٌ لأحمد: الرجل يكـون له الأخ من أبيه وأمه، ويرى عنده الشيء يعجبه، الدابة ونحو ذلك، فيقول: «هَبْ هـذا لـي»، وقد كان ذلـك يجـري بينهما، ولعل المسـئول يحب أن يسـأله أخوه ذلك؟ قال: «أكره المسألة كلها»، ولم يرخص فيه إلا أنه بين الأب والولد أيسـر، وذلك أن فاطمة قد أتت النبي -صلى الله عليه وسـلم-، وسألته، ونقل عنه يعقوب وإبراهيم بن هانئ والفضل نحو ذلك.

ومن المسألة المحرمة - وهي واقعة كثيرًا - سؤال ربِّ الدَّيْن وَضْعَ شيء من دَينه، نصَّ عليه، قال في رواية بكر ابن محمد عن أبيه: لا تعجبني هذه المسألة، قال -صلى الله عليه وسـلم-: «**لا تحل المسألة إلا لثلاثة**» [1]، قال ابن الجوزي: «وإن أخذ ممن يعلم أنه إنما أعطاه حياءً؛ لم يجز له الأخذ، ويجب رده إلى صاحبه»، ولـم أجد أحدًا صرح بهذا غيره،

(١) انظر: أصل الحديث في «صحيح ابن خزيمة» (٤/ ٦٥) رقم (٢٣٦٠).

وهـو قول حسـن؛ لأن المقاصـد عندنا في العقـود معتبرة، وعموم كلام غيره يخالفه، والله أعلم»[1] اهـ.

وجاء في «الموسوعة الفقهية»:

«صـرح الشـافعية والحنابلـة أنـه: إذا أخـذ مـال غيـره بالحيـاء، كأن يسـأل غيره مالًا فـي ملأ؛ فدفعـه إليه بباعث الحيـاء فقط، أو أُهـدِيَ إليه حياءً هدية يعلـم المهدَى له أن المُهـدي أهدى إليه حياءً؛ لم يملكـه، ولا يحل له التصرف فيـه، وإن لم يحصل طلبٌ مـن الآخذ، فالمدار مجرد العلم بأن صاحب المال دفعـه إليه حياءً، لا مروءة، ولا لرغبةٍ في خير.

ومـن هذا: لـو جلس عند قـوم يأكلون طعامًا، وسـألوه أن يـأكل معهم، وعلم أن ذلـك لمجرد حيائهم؛ لا يجوز له أكله من طعامهم، كمـا يحرم على الضيف أن يقيم في بيت

(١) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٣/ ٢٨٦).

مُضِيفه مدة تزيد على مدة الضيافة الشرعية وهي ثلاثة أيام، فيطعمه حياءً [1].

فللمأخوذ حياءً حكم المغصوب، وعلى الآخذ رده، أو التعويض عنه، ويجب أن يكـون التعويض بقيمة ما أخذ أو أكل من زادهم» [2] اهـ.

(١) انظر: «الموسوعة الفقهية» (٢٨/ ٣١٦ - ٣١٨)، و«غذاء الألباب» (٢/ ١٣٥).

(٢) «الموسوعة الفقهية» (١٨/ ٢٦٣)، وانظر: «نهاية المحتاج» (٥/ ١٤٦)، و«حاشية الجمل» (٣/ ٤٦٩)، و«مطالب أولي النهى» (٤/ ٣٨٠، ٣٨١).

الثالثة: يجري في الحياء الأحكام التكليفية

فإن كان المستحيى منه محرمًا؛ فالحياء منه واجب، وإن كان المستحيى منه مكروهًا؛ فهو مندوب، وإن كان المستحيى منه واجبًا؛ فالحياء منه حرام، وإن كان من مباح؛ فهو عرفي أو جائز [1].

تنبيه: سُئل بعضهم: هل كون الحياء من الإيمان مقيد أو مطلق؟ فقال: مقيَّد بترك الحياء في المذموم شرعًا، وإلا فعدمه مطلوب في النصح والأمر والنهي الشرعي، فتركه في هذه الأشياء من النعوت الإلهية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]، وقال -عز وجل-: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

---

(١) انظر: «عمدة القاري» (١/ ١٥٢)، «فتح الباري» (١/ ٧٤)، «الموسوعة الفقهية» (١٨/ ٢٦٢).

وأنشدوا في مدح ترك الحياء في المشروع:

تــرك الـحـيـاء تـحـقـقٌ وتـخـلُّـقٌ

جـــاءت بـــه الآيـــاتُ فـــي الـقـــرآنِ

فـإذا فـهـمـتَ الأمـــرَ يـا هـذا فكن

مثـلَ اللسـانِ [1] بِقُبَّـةِ الميـزانِ[2]

(١) لسان الميزان: عودٌ من المعدِن يُثَبَّت عموديًّا على أوسط العاتق، وتتحرك معه، ويُستدل منه على توازن الكفتين، والمقصود وضع كلٍّ من الحياء المأمور به، والحياء المأمور بتركه في موضعه.

(٢) انظر: «فيض القدير» (٣/ ٤٢٧، ٤٢٨).

ليس من الحياء

اعلم أن الحياء المحمود الذي هو خُلُق الإسلام، وقرين الإيمان، هو الحياء الذي يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ويُعرف هذا الحياء بثمرته، فإذا أتى بخير فهو المحمود، ولذلك لما وصف رجل الحياء عند الأحنف؛ قال: «إن الحياء ليتم لمقدار من المقادير، فما زاد عن ذلك فَسَمِّه بما أحببت».

فالذي يهم بفاحشة فيمنعه حياؤه من اجتراحها، أو يعتدي عليه سفيه فيمنعه حياؤه من مقابلة السيئة بالسيئة، أو يسأله سائل فيمنعه حياؤه من حرمانه، أو يضمه مجلس فيمسك الحياء بلسانه عن الكلام، والخوض فيما لا يعنيه، فالذي يكون للحياء في نفسه هذه الآثار الحسنة، فهو ذو خلق محمود، فقد ورد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرَّ على رجل يعظ أخاه في الحياء، فقال له -صلى الله عليه وسلم-:

«**دعه، فإن الحياء من الإيمان**»[1]، وقال -صلى الله عليه وسلم-: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[2].

أما إذا أتى الحياء بشر؛ فهذا ليس بالحياء الشرعي المأمور به، وإنما هو عجز وخَوَر، وضعف ومهانة، وهو من خداع الشيطان وتلبيسه، كالحياء الذي يترتب عليه كتمانُ حق، أو انتهاك حرمة، وتسمية مثل هذا حياءً من إطلاق بعض أهل العرف، أطلقوه مجازًا لمشابهته الصورية للحياء الشرعي[3].

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**خير الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ -صلى الله عليه وسلم-**»[4].

---

(١) تقدم تخريجه ص (٤١).

(٢) تقدم تخريجه ص (٣٤).

(٣) انظر: «عمدة القاري» (١/ ١٥٢).

(٤) جزء من خطبة الحاجة، رواه مسلم رقم (٨٦٧)، كتاب الجمعة.

وقال سفيان بن عيينة -رحمه الله-: «إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الميزان الأكبر، وعليه تُعْرضُ الأشياء، على خُلُقه، وسيرته، وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل».

وقد كان -صلى الله عليه وسلم- أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرِها، قال القرطبي -رحمه الله تعالى-: «وقد كان المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يأخذ نفسه بالحياء، ويأمر به، ويحث عليه، ومع ذلك فلا يمنعه الحياء من حق يقوله، أو أمر ديني يفعله تمسكًا بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٣]، وهذا هو نهاية الحياء، وكماله، وحُسْنُه، واعتداله، فإن من فَرَطَ عليه الحياء حتى منعه من الحق؛ فقد ترك الحياء من الخالق، واستحيا من الخلق، ومن كان هكذا حُرِمَ منافع الحياء، واتصف بالنفاق

والريـاء، والحيـاء من اللـه هو الأصل والأسـاس، فإن الله أحق أن يُستحيا منه، فليُحفظ هذا الأصل، فإنه نافع» [1].

إن الإسـلام - بوصفـه ديـنَ اللـه الحـق - ديـنٌ حياتيٌّ واقعي شـامل، ينظم كل شئون الحياة على كافة مستوياتها، فما مِن فعل أو ترك إلا ولله -عز وجل- فيه حكم، ومن ثَمَّ يصبـح المسـلم - لا محالة - في حاجة ماسـة إلى التعرف علـى حكـم الله - سـبحانه - في هذه الأمـور، وهذا الذي فعله وبيَّنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو القائل: **«إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرَهم شرَّ ما يعلمه لهم»** [2] الحديث.

---

(١) نقله عنه المناوي -رحمه الله تعالى- في «فيض القدير» (١/ ٤٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤) -واللفظ له- والنسائي (٢/ ١٨٥)، وابن ماجه (٣٩٥٦)، والإمام أحمد (٢/ ١٩١) من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-.

ورُوي عـن أبي ذر -رضي الله عنه- أنه قال: «لقد تَرَكَنا رسـولُ الله -صلى الله عليه وسلم- وما يتقلب في السماء طائر إلا ذكَّرنا منه علمًا»[1].

وقـد لاحـظ بعـض النـاس ذلـك؛ حتـى قيل لسـلمان -رضـي اللـه عنـه-: «لقـد علَّمكـم نبيكم كل شـيء حتى الخِراءَة!» قال: «أجل، لقد نهانا رسول الله -صلى الله عليه وسـلم- أن نسـتقبل القبلة بغائط أو بول، وأن لا نسـتنجي باليميـن، وأن لا يسـتنجي أحدنا بأقل مـن ثلاثة أحجار، أو يستنجي برجيع أو عظم»[2].

من أجل ذلك أسـقط الإسـلام اعتبار الحيـاء في بعض المواضـع مـع تعظيمه هذا الخلق الكريـم، لما يترتب على الاسـتحياء فيهـا من الشـر، أو تضييـع الحقـوق، أو انتهاك حرمات الله -عز وجل-.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢) عن أشياخ من التيم عنه -رضي الله عنه-.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٢) كتاب الطهارة، باب الاستطابة، وأبو داود رقم(٧) في الطهارة.

ونظرة إلى مسلك الصحابة -رضي الله عنهم- في ذلك تبين لنا أنهم مع شدة حيائهم لم يخجلوا من إبلاغ الأحكام الشرعية على وجهها؛ تعليمًا للناس ما لا بد لهم منه، وإنما استفادوا ذلك من هدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي قال لهم يومًا: «**إنما أنا لكم مثل الوالد لولده** -وفي لفظ: **بمنزلة الوالد**- **أُعَلِّمكم: إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة، ولا تستدبروها**» [1] الحديث.

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: «جاء أعرابي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، إنا نكون بالبادية فتخرج من أحدنا الرُّوَيْحَةُ؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله -عز وجل-**

(١) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أبو داود رقم (٨)، وابن ماجه (١/ ١٣١)، والدارمي (١/ ١٧٢)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١/ ١١٢).

لا يستحيي من الحق، إذا فعل أحدُكم فليتوضأ، ولا تأتوا النساء في أعجازهنَّ»، وقال مرة: «**في أدبارهن**» [1].

وكانت أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - من نفس المنطلق يلين بأنفسهن هذا التأديبَ أحيانًا:

فعن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: اخْتَلَفَ في الْغُسْلِ -إِذَا قعَدَ بَيْنَ شُعَبِهَا ولَمْ يُنْزِلْ- رَهْطٌ مِنَ الـمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّونَ: «لا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ»، وقَالَ المُهَاجِرُونَ: «بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ»، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: «فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ»، فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَأُذِنَ لي، فَقُلْتُ لَهَا: «يا أُمَّاهُ - أَوْ يا أُمَّ المُؤْمنين - إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شيءٍ، وإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ» فَقَالَتْ: «لا تَسْتَحْيي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّما أَنَا أُمُّكَ»، قُلْتُ: «مَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟» قَالَتْ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطت، قَالَ رَسُولُ الله

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٦٥٣) رقم (٦٥٥)، وقال العلامة أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

-صلى الله عليه وسلم-: «**إذا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ، وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ ؛ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ**» [(١)].

وعنها -رضي الله عنها- قالت: «مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِم مِنْهُ، إِنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- كانَ يَفْعَلُهُ» [(٢)].

وعنها -رضي الله عنها- أَنَّها ضَافَتْ ضَيْفًا، فَأَمَرَتْ بِمِلْحَفَةٍ صَفْرَاءَ فَنَام فيهَا، فَاحْتَلَمَ، فَاسْتَحْيَا أَنْ يُرْسِل بِهَا وبِهَا أَثَرُ الاحْتِلَام فَغَمَسَهَا فِي الْمَاءِ، ثُمَّ أَرْسَل بِها، فَقَالَتْ عائشة: «لِمَ أَفْسَدَ عَلَيْنَا ثَوْبَنَا ؟ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَفْرُكَهُ بِأَصَابِعِهِ، لرُبَّمَا فَرَكْتُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- بِأَصَابِعِي» [(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/ ٩٧)، ومسلم رقم (٣٤٩) في الحيض، والترمذي رقما (١٠٨)، (١٠٩) في الطهارة.

(٢) رواه الإمام أحمد (٦/ ٩٥)، والترمذي (١٩)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (٤٦)، وهو في «صحيح النسائي» للألباني رقم (٤٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ٤٢)، والترمذي رقم (١١٦)، وقال: «حسن صحيح»، وروى مسلم بعضه رقم (١٠٥).

فصل

الحياء في العلم

من المجالات التي ينبغي طَرْحُ الحياء فيها: طلب العلم،

* فائدة: قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (١/ ١٨٤): وقال الشافعي -رحمه الله-: رأيت على باب مالك بن أنس كُراعًا -أي: خيلًا- من أفراس خُراسان، وبغال مصر، ما رأيتُ أحسنَ منه، فقلت له: «ما أحسنه!»، فقال: «هو هدية مني إليك يا أبا عبد الله»، فقلت: «دع لنفسك منها دابة تركبها»، فقال: «أنا أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربةً فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحافر دابة» اهـ.

وقد استبعد هذا بعضُ العلماء المتأخرين، وقطع بأنه مكذوب على الإمامين الجليلين مالك والشافعي، وقال: «لأن الجسد الشريف مَصُون مع الصاحبين في الحُجرة خاصة، وهذا بإجماع المسلمين سلفًا وخلفًا، والذي يتورع أن يطأ تربة المدينة بحافر دابة لكون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مدفونًا فيها؛ يتورع أيضًا عن قضاء الحاجة فيها؛ لأن هذا أفحش وأقبح، لأنه يلوث الأرض وينجسها... وسائر بقاع المدينة لم تكن تربة للجسد الشريف، فهذا التورع خلاف ما عليه الخلفاء الراشدين وسائر الصحابة، وهم أشد الناس حبًّا وتعظيمًا للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأدبًا معه في حياته وبعد وفاته، ولم يُنقل عنهم شيء من ذلك فلعل هذا من الغلو، وفيه من الحرج والمشقة على الناس ما لا يتفق وشريعته السمحة - صلى الله عليه وسلم -» اهـ. بتصرف واختصار من: «ملاحظاتي حال مطالعاتي» للشيخ سليمان بن حمدان، ص (٤٢ - ٤٤).

والتعليم، قال علي -رضي الله عنه-: «لا يستحي الذي لا يعلم أن يسأل حتى يعلم، ولا يستحي من يُسأل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم».

وقال البخاري: قال مجاهد: «لا يتعلم العلمَ مُسْتَحْي ولا مستكبر»، وقالت عائشة -رضي الله عنها-: «نِعم النساءُ نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[1].

وقال الخليل بن أحمد: «منزلة الجهل بين الحياء والأنفة».

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-: «وهو -أي: الحياء- الشرعي الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام للأكابر، وهو محمود، وأما ما يقع سببًا لترك أمر شرعي؛ فهو مذموم، وليس هو بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة، وهو المراد بقول مجاهد: (لا يتعلم العلمَ مستحي)، وهذا

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٢٩).

الأثر عـن مجاهد وصلـه أبو نعيم فـي (الحلية)، وإسـناده صحيح على شرط المصنف» اهـ. بمعناه من «الفتح» [1].

وعن الأسـود ومسـروق قالا: «أتينا عائشـة لنسألها عن المباشـرة للصائم، فاستحيينا، فقمنا قبل أن نسألها؟ فمشينا لا أدري كـم، ثم قلنا: «جئنا لنسـألها عن حاجـة، ثم نرجع قبل أن نسـألها؟» فرجعنـا، فقلنا: «يـا أم المؤمنين، إنا جئنا لنسألك عن شيء، فاستحيينا، فقمنا»، فقالت: «ما هو؟ سلا عمـا بدا لكما»، قلنا: «أكان النبي -صلى الله عليه وسـلم- يباشـر وهو صائم؟» قالت: «قد كان يفعل ذلك، ولكنه كان أملك لإربه منكم» [2].

وروُي - بسند ضعيف - عن أمير المؤمنين علي -رضي اللـه عنه- أنه قـال يومًا وهو على المنبـر: «أيها الناس، إني

---

(١) «نفس المصدر».

(٢) رواه الإمام أحمد (٦/ ٢١٦)، وانظر: البخاري في الصوم: باب المباشرة للصائم، ومسلمًا رقم (١١٠٦)، وأبا داود رقم (٢٣٨٢)، والترمذي رقم (٧٢٧).

سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (**لا يقطع الصلاةَ إلا الحدثُ**)، لا أستحييكم مما لا يَستحيي منه رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: والحدث أن يفسوَ أو يَضْرِط»[1].

فلا يليق بالمسلم أن يتنزه عن شيء فعله أو قاله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو أشد الناس حياءً، وأعلمهم بالله -عز وجل-.

وعن زينب ابنة أم سلمة قالت: جاءت أم سُلَيْم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت: «يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غُسْل إذا احتلَمتْ؟»، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**إذا رأتِ الماء**»، فغطَّت أم سلمة - تعني وجهها - وقالت: «يا رسول الله،

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ١٣٨)، وضعَّفه العلامة أحمد شاكر، حديث رقم (١١٦٤).

وتحتلم المرأة؟»، قال: «**نعم، تربت يمينك، ففيم يُشبهها ولدها؟**»[1].

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدِّثوني ما هي ؟**»، فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: «فاستحييت»، فقالوا: «يا رسول الله أخبِرنا بها»، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**هي النخلة**»، قال عبد الله: فحدَّثتُ أبي بما وقع في نفسي، فقال: «لأن تكون قُلْتَها أحبُّ إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا»[2].

فمنعه حياء الإجلال لمن هم أسنُّ منه من الحاضرين من أن يقول ذلك، قال الحافظ: «وكان يمكنه إذا استحيا إجلالًا لمن هو أكبر منه أن يذكر ذلك لغيره سرًّا ليخبر به

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٢٩ - فتح).

(٢) «نفس المصدر».

عنه، فيجمع بين المصلحتين، ولهذا عقبه المصنف -أي البخاري- بباب من استحيا فأمر غيره بالسؤال»[1].

وقد أورد البخاري في الباب المشار إليه حديث محمد ابن الحنفية عن عليٍّ -رضي الله عنه- قال: «كنت رجلًا مذَّاءً[2]، فأمرت المقداد أن يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- فسأله، فقال: «**فيه الوضوء**»[3]، ولفظه في كتاب الغسل: كنت رجلًا مذاءً، فأمرت رجلًا أن يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- لمكان ابنته - فسأل، فقال: «**توضأ، واغسل ذكرك**».

وفي رواية النسائي: فقلت لرجل جالسٍ إلى جنبي: «سله»، فسأله، وفي مسلم: «فسأله عن المذي يخرج من الإنسان»، وبينت رواية لأبي داود والنسائي وابن خزيمة

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٣٠).

(٢) مَذَّاء: أي كثير المَذْي، وهو البلل اللزج الذي يخرج من الذكر عند تحرك الشهوة، ولا يجب فيه الغسل، وهو نجس يجب غسله، وينقض الوضوء، وانظر: «النهاية» لابن الأثير (٤/ ٣١٢).

(٣) فيه الوضوء: أي المذي يوجب الوضوء.

سببَ ذلك، فعن علي قال: «كنت رجلًا مذاءً، فجعلت أغتسل منه في الشتاء حتى تشقق ظهري»[1]، الحديث.

والحاصل: أنه متى استحيا الإنسان، وكان له مندوحة عن سؤال العالم مباشرة؛ فلا بأس من أن يوكِّل غيره في السؤال مراعاة للحياء من جهة، وتحصيلًا للعلم من جهة أخرى.

وهذه أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- استحيت أن تواجه الرجال ببعض الآداب، فأمرت زوجاتهم بإبلاغهم: فعنها -رضي الله عنها- أنها قالت: «مُرْنَ أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا[2] بِالْمَاءِ فَإِنِي أَسْتَحْيِيهِمْ مِنْهُ، فإِنَّ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- كانَ يَفْعَلُهُ»[3].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٢٣٠ - فتح) في الغسل، ومسلم رقم (٣٠٣) في الحيض، وأبو داود رقم (٢٠٦) إلى (٢٠٩)، والترمذي رقم (١١٤)، والنسائي (١/ ٩٦، ٩٧)، وانظر: «فتح الباري» (١/ ٣٨٠).

(٢) الاستطابة والإطابة: كناية عن الاستنجاء، سُمِّي بها من الطِّيب، لأنه يُطيب جسدَه، بإزالة ما عليه من الخَبَث بالاستنجاء، أي: يُطهِّرُهُ.

(٣) تقدم تخريجه ص (١١٦).

فائدة: في تقديم بر الوالدين على الحياء من الناس:

كان عمرو بن عبيد [1] يأتي كَهْمسًا [2] يُسلِّم عليه، ويجلس عنده هو وأصحابه، فقالت له أمه: «إني أرى هذا وأصحابه، وأكرههم، وما يُعجبوني، فلا تجالسهم»، فجاء إليه عمرو وأصحابه، فأشرف عليهم، فقال: «إن أمي قد كرِهتك وأصحابك، فلا تأتوني» [3].

(١) زاهد، عابد، لكنه كان مبتدعًا قدريًّا؛ بل كبير المعتزلة.

(٢) عابد من كبار الثقات، كان عظيم البر بأمه -رحمه الله تعالى-.

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٢١٢).

فصل

الحياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن ترك الحياء في النصح والأمر والنهي الشرعيين من النعوت الإلهية، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، والذي يتهيب تقريع المبطلين لا يُعتبر حَيِيًّا، ففي موقف الانتصار للحق، وفضح العقائد الفاسدة، والتهوين من شأن الآلهة المزيفة، قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وبعد أن حقر آلهتهم، وفضح عجزها عن خَلْق ذبابة؛ بل عن حماية نفسها إذا هاجمتها ذبابة، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الآية، [البقرة: ٢٦].

فليس للحيـاء موضع إذا ضل الناس، أو انتفش الباطل، عـن أبي سـعيد الخدري -رضي الله عنه- قال رسـول الله -صلـى اللـه عليه وسـلم-: «**لا يمنعنَّ رجـلًا هيبـةُ الناسِ أن يقـولَ بحقٍّ إذا علمه، أو شـهده، أو سـمعه**» [1]، وقـال عبيد ابن عمير: «آثِروا الحياء من الله على الحياء من الناس»، فالأمر الشـرعي - وإن كان يُتَوَهـم أن فـي تركه أدبًـا وحياءً - فإن الحـزم كل الحـزم اتبـاعُ الأمر الشـرعي، وأن يُجْـزَمَ أن ما خالفه ليس من الأدب في شيء.

قَالَ صاحبُ «فضل الله الصَّمَدِ»: «فإِنْ قِيلَ: إنَّ صَاحِبَ الحَيَاءِ قَدْ يَسْتَحْيي أَنْ يُوَاجِهَ بالحَقِّ، فَيترُك الأمر بالمعْرُوف والنهي عن المُنْكَر، وقد يَحْمِلُهُ الحَيَاءُ على الإخلال ببعض الحُقُـوقِ وغير ذلك ممَّا هو معروفٌ فـي العادة، فأقُولُ: إن

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٠٧)، والحاكم (٤/ ٥٠٦)، وأحمد (٣/ ١٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٦٨).

ذلـك ليس بِحَيَاءٍ حقيقةً، بل هو عجـزٌ وخورٌ ومهانةٌ، وإنما أطْلَقُوا عليه حياءً تشبيهًا ومجازًا»[1].

وقـال في موضـع آخر: «وإنمـا يكـونُ - أي: الحياءُ - حقيقيًّـا حيثُ يكـونُ القبحُ حقيقيًّـا، فلا يدخُلُ فـي الحياء الانقبـاضُ عما يَسْـتَقْبِحُهُ الناسُ، وهو في الحقيقة حَسَـنٌ، ولا الانقبـاضُ عمـا هو في الأصل قبيـحٌ، ولكن الانقباضَ عنـه يُؤدي إلى أقبحَ منه، لأنه في هـذه الصورة يرتفع حكم القبح الأصلي للمعارضة، مثاله: ما يقعُ مِنْ بعض خَرِعَاتِ[2] النسـاءِ، يَعْـرِضُ لها فَاجِـرٌ في خَلْـوَةٍ يُحاول اسْـتِكْراهَها، فَتَنْقَبِـضُ نَفْسُـهَا عَـنْ أن تَسْـتَغِيث وتصْرخَ؛ لأنها تَسْـتَقْبحُ أنْ يَشِـيعَ عنهـا أنَّ فاجِـرًا تَعَرَّضَ لهـا، ولَوْ عَقَلَـتْ لَعَلِمَت أن شُـيُوعَ ذلك ليس بقبيـحٍ إذا اقترن بإبائها عن الفاحشـة، والناسُ يُثْنُونَ عليها بالعِفَّةِ والحزم والثباتِ إذا سـمعُوا أنها

(١) «فضل الله الصمد» (٢/ ٥٤).

(٢) خَرِع الشيء: لان، واسترخى، وضعُف.

انتهرتْـهُ، وصرخَتْ بأهلها فجـاءوا ودفعُوهُ»[1]، وعلى ذلك فالحياءُ في قوله -صلى الله عليه وسلم-: «**الحَيَاءُ لا يَأتي إلا بخيرٍ**» هو الحياءُ الحقيقيُّ.

وقد ثَبَتَ أنهُ -صلى الله عليه وسلم- كان أشد حياءً من العـذراء في خِدْرِهَـا، وهو لنا في ذلك قُـدْوَةٌ، لا يقُومُ دُونَ غَضَبِهِ شيءٌ إذا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ.

وقد زَخَرَ التاريخ الإسلامي بنماذج رائعة لوضوح هذا المفهوم عند السلف ومَن تبعهم من الخلف، فمِن ذلك:

ما حكاه سـالم بن عبد الله قال: أعرسـت في عهد أبي، فـآذن أبـي النـاس، وكان أبو أيـوب فيمن آذنَّا، وقد سـتروا بيتي بِنِجـاد[2] أخضر، فأقبل أبو أيوب فدخل، فرآني قائمًا، واطلع فرأى البيت مستترًا بنجاد أخضر، فقال: «يا عبد الله، أتسـترون الجدر؟» قال أبي - واستحيا -: «غلَبنا النساءُ أبا

(١) «نفسه» (٢/ ٦٩١).

(٢) نجاد: بكسر النون، جمع «نجد»، وهو ما يزين به البيت من البسط والوسائد والفرش.

أيوب»، فقال: «من كنتُ أخشى عليه أن تغلبنه النساء فلم أكن أخشى عليك أن تغلبنك»، ثم قال: «لا أطعم لكم طعامًا، ولا أدخل لكم بيتًا»، ثم خرج رحمه الله تعالى[1].

ومن هذه المواقف: ما حكاه عبد الرزاق بن سليمان ابن علي بن الجعد قال: سمعت أبي يقول: لما أحضر المأمون أصحاب الجوهر، فناظرهم على متاعٍ كان لهم، ثم نهض المأمون لبعض حاجته، ثم خرج، فقام كل من كان في المجلس إلا ابن الجعد، فإنه لم يقم، قال: فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب، ثم استخلاه، فقال له: يا شيخ، ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال: أجللتُ أميرَ المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: وما هو؟ قال علي بن الجعد: سمعت المبارك بن فضالة يقول: سمعت الحسن يقول: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**من أحب أن يمثل له الناس قيامًا،**

(١) عزاه الألباني في «آداب الزفاف» ص (٢٠١) إلى الطبراني، وابن عساكر، والمروزي في «الورع» تعليقًا، و«شرح السنة».

فليتبوأ مقعده من النار»[1]، قال: فأطرق المأمون متفكرًا في الحديث، ثم رفع رأسه فقال: «لا يُشْتَرى إلا من هذا الشيخ»، قال: «فاشترى منه في ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار»[2].

وقال أحمد بن علي البصري: وجه المتوكل إلى أحمد ابن العدل وغيره من العلماء، فجمعهم في داره، ثم خرج عليهم، فقام الناس كلهم إلا أحمد بن العدل، فقال المتوكل لعبيد الله: «إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا؟»، فقال له: «بلى يا أمير المؤمنين، ولكن في بصره سوء»، فقال أحمد ابن العدل: يا أمير المؤمنين، ما في بصري من سوء، ولكنني نزَّهتك من عذاب الله تعالى، قال النبي -صلى الله عليه

(١) أخرجه موصولًا البخاري في «الأدب» رقم (٩٧٧)، وأبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي رقم (٢٧٥٥)، والإمام أحمد (٤/ ٩٣)، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٥٧).

(٢) ()«تاريخ بغداد» (١١/ ٣٦١).

وسلم-: «**من أحب أن يمثل له الرجال قيامًا، فليتبوأ مقعده في النار**»، فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه [1].

وكان الإمام الجليل سفيان الثوري -رحمه الله تعالى- شديد الحياء، وقال الإمام ابن مهدي -رحمه الله تعالى-: «ما كنت أقدر أن أنظر إلى سفيان استحياءً وهيبةً منه»، ومع ذلك فكان في مواقع الحمية والغضب لدين الله -عز وجل- لا يعرف الاستحياء في الحق، حتى قال يحيى بن أبي غنية: «ما رأيت رجلًا قط أصفقَ وجهًا في الله -عز وجل-[2] من سفيان الثوري».

وأنكر مرة على المهدي بعض الأمور، واشتد في الإنكار حتى قال له وزير المهدي: «شططتَ: تكلم أمير المؤمنين بمثل هذا؟» فقال له سفيان: «اسكت، ما أهلك فرعونَ إلا هامانُ»، فلما ولَّى سفيان، قال أبو عبيد الله: «يا

(١) أخرجه الدينوري في «المنتقى من المجالسة»، كما في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ٧٣).

(٢) أي: لا يجامل، ولا يداري غيرةً على الدين.

أميـر المؤمنين، ائذن لي أضرب عنقه»، فقال له: «اسـكت، ما بقي على وجه الأرض من يُستحيا منه غير هذا».

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مصعب: أن رجلًا أعمى كان يجالس سـفيان، فكان إذا كان شـهر رمضان خرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيُكسـى، ويوهَبُ له، فقال سفيان: «إذا كان يـوم القيامة أثيـب أهل القرآن مـن قرآنهم، ويقال لمثـل هذا: قـد تعجَّلـتَ ثوابك»، فقـال له الرجـل: «يا أبا عبـد اللـه، تقول هذا لي وأنـا جليس لك؟!»، قال سـفيان: «إنـي أتخوف أن يقال لي يـوم القيامة: إنه كان جليسًـا لك أفلا تنصحه؟».

وكان الشـيخ شـمس الدين محمـد بن محمـد بن عليٍّ المقدسـي إذا سمع من أحدٍ غِيبة - ولو جَلَّ - بادره - وهو يبتسم - بقوله: «أستغفر الله» [1].

(١) «المختار المصون» (١/ ٥٤٠).

واغتاب رجل كبير رجلًا بحضرة العلامة محمد الأمين الشـنقيطي -رحمه الله-، فنهاه الشيخ، فقال المغتاب: «أنا المتكلـم لا أنت»، فردَّ عليه الشـيخ بقوله : «أنا شـايب بين جَنْبَيَّ سورة البقرة، تسكت بأدب، أو تخرج» [1].

وقال عبد الرحمن رُسْـتَه: سألت ابن مهدي عن الرجل يبنـي بأهله، أيتـرك الجماعـة أيامًـا؟ قـال: «لا، ولا صلاة واحدة»، وحضرتُه صبيحـة بُني على ابنته، فخرج فأذَّن، ثم مشـى إلى بابهما، فقال للجارية: قولـي لهما: يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساءُ والجواري، فقلن: «سبحان الله، أي شـيء هذا؟!»، فقال: «لا أبرح حتى يخرجـا إلى الصلاة»، فخرجـا بعدمـا صلـى، فبعث بهما إلى مسـجد خـارج من الدرب [2].

(١) «ترجمة الشيخ الشنقيطي» للشيخ عبد الرحمن السديس ص (٢٠٤، ٢٠٥).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٠٤)، و«حلية الأولياء» (٩/ ١٣).

صور من الحياء المذموم:

- أن تمد امرأة أجنبية يدها إلى رجل فيصافحها، ويزعم أنه استحيا منها، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَأَن يُطْعَنَ في رأسِ أحدِكم بمِخْيَطٍ من حديدٍ ؛ خير له من أن يَمَسَّ امرأةً لا تحل له**»[1].

- أن يُقرِضَ رجلٌ رجلًا مالًا وهو لا يثق بأمانته، ويَوَدُّ أن لو أشهد عليه الملائكة والجن والإنس، ومع ذلك يستحيي أن يستكتبه الدَّيْن أو أن يُشْهِدَ عليه، أو يُمَكِّنَ سفيهًا من ماله استحياءً منه، فيبدده شَذَرَ مَذَرَ.

عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاثة يدعون الله -عز وجل- فلا يُستجابُ لهم: رجل كانت تحته امرأةٌ سيئة الخلُق فلم يُطَلِّقْهَا**[2]،

(١) رواه الطبراني، والبيهقي، ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح، كذا في «الترغيب» (٣/ ٦٦)، وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٢٦): «هذا سند جيد» اهـ.

(٢) فإذا دعا عليها لا يُستجاب له؛ لأنه المعذبُ نفسَه بمعاشرتها، وهو في سَعَة من فراقها، ولا يُفهم مِن هذا ندبُه إلى تطليقها، وإنما هو حث على عدم =

ورجل كان له على رجل مال فلم يُشْهِدْ عليه[1]؛ ورجلٌ آتى سفيهًا[2] ماله؛ وقال الله -تعالى-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ الآية [النساء: ٥]» [3].

وقد طرح السلف الصالح الاستحياء في مواطن إثبات الحقوق، واستحسنوا ذلك:

لما لقي الإمامَ مالكًا تلميذُه الشافعيُّ بالمدينة، وأهداه مالك مالًا عظيمًا، قال الشافعي: «إنك موروث، وأنا موروث، فلا يثبت جميع ما وعدتني إلا تحت خَتمي

= أذيتها بالدعاء عليها، ببيان أنه لا يستجاب دعاؤه عليها.

(١) يعني: فأنكره، فإذا دعا لا يستجاب له؛ لأنه المفرِّط المقصر بعدم امتثال قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٢٨٢]، وهذا جزء من آية الدَّيْن وهي أطول آية في القرآن الكريم، وقد نزلت تبين الضمانات الكفيلة بحفظ مال المسلم، رعاية لمصلحته.

(٢) أي: محجورًا عليه بسفهٍ، «ماله» أي: شيئًا من ماله مع علمه بالحجر عليه، فإذا دعا عليه لا يستجاب له ؛ لأنه المضيع لماله فلا عذر له. انظر «فيض القدير» (٣/ ٣٣٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٠٢)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (١٨٠٥).

ليجـريَ مُلكـي عليـه، فـإن حضرنـي أجلـي كان لورثتـي دونـك، وإن حضـرك أجلك كان لي دون ورثتك»، فتبسـم فـي وجهي، وقـال: «أبيتَ إلا العلم»، فقلت: «لا يُسـتعمل أحسنُ منه»، قال الشـافعي: «فما بِتُّ إلا وجميعُ ما وعدني به تحت خاتَمي» [1].

فائدتان:

الأولـى: نقـل ابن قدامة عـن الإمام أحمد أنـه قال: «إني لأرى الشـيخَ المخضوبَ، فأفرحَ بـه»، وذاكر الإمام أحمد رجـلًا، فقال: «لِـمَ لا تختضب؟» فقال: «أسـتحيي»، قال: «سبحان الله! سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»[2].

الثانيـة: سـمع أُبـيُّ بنُ كعـب -رضي الله عنـه- رجلًا قـال: «يالَ فلانٍ!»، فقال له أُبيٌّ: «اعضض بِهن أبيك»، ولم يَكْـنِ، فقال الرجـل: «يا أبا المنذر! ما كنتَ فحَّاشًـا»، فقال أُبيٌّ -رضي الله عنه-: إني لا أستطيع إلا ذلك، إني سمعتُ

(١) «رحلة الإمام الشافعي» ص (٢٦، ٢٧).
(٢) «المغني» (١/ ٦٦).

رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**من تعزَّى بعزاء الجاهلية ؛ فأَعِضُّوه بِهَنِ أبيه، ولا تَكْنوا**» [(١)].

قـال البغـوي -رحمـه اللـه تعالـى-: «يجاهـره بمثـل هـذا اللفـظ الشـنيع ردًّا لما أتى بـه من الانتماء إلـى قبيلته، والافتخار بهم» اهـ [(٢)].

وقال الحافظ في موقف مماثـل: «وفيه جواز النطق بما يُستبشَـع من الألفـاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يسـتحق به ذلك» اهـ [(٣)].

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٤٢٧)، والإمام أحمد (٥/ ١٣٦)، وغيرهما، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٦٩)، وانظر: «لسان العرب» (٧/ ١٨٨).

(٢) «شرح السنة» (١٣/ ١٢٠).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٦٣٧) ط. طيبة - الرياض - ١٤٢٦ هـ.

رابعًا: الاستحياءُ من الله -جل وعلا-

«**الحياء خير كله**»، و «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»؛ لأن من استحيا من الناس لا يفعل ما يُخجله إذا عُرف منه أنه فعله، فكان من أعظم بركة الحياء من الناس تعويدُ النفس ركوبَ الخصال المحمودة، ومجانبتها الخلال المذمومة.

ومن استحيا من الناس أن يروه بقبيح؛ دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشدَّ، فلا يضيع فريضة، ولا يرتكب خطيئة؛ لأن المؤمن يعلم بأن الله يرى كل ما يفعله، فيلزمه الحياء منه لعلمه بذلك، وبأنه لا بد أن يقرره يوم القيامة على ما عمله، فيخجل، فيؤديه إلى ترك ما يخجل منه، وذلك هو الحياء، فمِن ثَمَّ لا يأتي إلا بخير.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال ذات يوم لأصحابه: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، قالوا: «إنا نستحيي يا رسول الله»، قال:

«ليس ذاكم [1]، ولكن من استحيا من الله حق الحياء: فليحفظ الرأس وما وَعَى [2]، وليحفظ البطن وما حَوَى [3]، وليذكر الموتَ والبِلى [4]، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا [5]، فمن فعل ذلك [6] فقد استحيا من الله حق الحياء» [7].

---

(١) قال البيضاوي -رحمه الله-: يعني «ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول» اهـ. نقلًا من «الفتح الرباني» (١٩/ ٩٠).

(٢) ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا فيما يحل.

(٣) أي: وما جمعه جوفه باتصاله به من القلب والفرج واليدين والرجلين، فلا يستعمل منها شيئًا في معصية الله -عز وجل-.

(٤) لأن من ذكر أن عظامه تصير بالية، وأعضاءه متمزقة؛ هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله وتعظيمه.

(٥) لأنهما ضَرَّتان، إذا أرضيتَ إحداهما أغضبتَ الأخرى، فمن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه استحياءً منه، بحيث لا يرى إلا إياه.

(٦) الإشارة إلى جميع ما مرَّ، فمن أهمل من ذلك شيئًا، لم يخرج من عهدة الاستحياء.

(٧) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي رقم (٢٥٨٨) وقال: «هذا حديث غريب»، والحاكم (٤/ ٣٢٣) وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢/ ٢٩٩). =

وعـن معاوية بـن حيدة -رضـي الله عنه- قـال: قلت: يا رسـول اللـه، عوراتنا ما نأتي منها وما نـذر؟ قال: «**احفظ عورتـك إلا من زوجتـك، أو ما ملكت يمينك**»، قلت: يا رسـول الله، إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال: «**إن اسـتطعت أن لا يرينَّهـا أحـد فلا تُرِيَنَّها أحدًا**»، قلت: يا رسـول الله، إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: «**الله أحق أن يُستحيا منه من الناس**» [1].

فـإذا حَـرَّض -صلى الله عليه وسـلم- على السـتر في الخلـوة تأدبًـا مع الله -عز وجل- واسـتحياءً منه، وهو أمر مُختلَـف فـي وجوبه أو اسـتحبابه، فكيف ينبغـي أن يكون

= قال بعض العلماء: «يستحب لكل أحد صحيح أو مريض الإكثارُ من ذكر هذا الحديث، بحيث يصير نُصْبَ عينيه، والمريض أولى».

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣، ٤)، وأبو داود رقم (٤٠١٧)، والترمذي رقم (٢٧٩٤)، (٢٧٦٩) وحسنه، والحاكم (٤/ ١٨٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي (١/ ١٩٩)، وحسنه الألباني في «آداب الزفاف» ص (١١٢)، وهو محمول على الندب والكمال، وليس على ظاهره المفيد الوجوب، والله أعلم، وانظر: «أحكام النظر» للحموي ص (١١٦)، و«مجموع الفتاوى» (١٥/ ٤١٥)، و«فيض القدير» (٢/ ٢٢٨) حديث رقم (١٧٢٩)، و«المجموع» (٣/ ١٥٦).

حياء الإنسان منه -تعالى- إذا فقده حيث أمره، أو رآه حيث نهاه؟

عن يعلى بن أمية -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى رجلًا يغتسل بالبَراز [1] بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله -عز وجل- حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يحب الحياءَ والسَّترَ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**» [2].

قال كعب: «استحيوا من الله في سرائركم، كما تستحيون من الناس في علانيتكم».

وقد صرح الله -عز وجل- بأن الحكمة التي خلق الخلق من أجلها هي أن يبتليهم أيهم أحسن عملًا.

قال العلامة القرآني محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله تعالى-: «... إذا لاحظ الإنسان الضعيف أن ربه -جل وعلا-

---

(١) البَراز: الفضاء الواسع الخالي من الشجر ونحوه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (١/ ٧٠)، والبيهقي (١/ ١٩٨)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٧/ ٣٦٧).

ليس بغائب عنه، وأنه مُطَّلع على كل ما يقول وما يفعل وما ينوي؛ لان قلبُه، وخشي الله تعالى، وأحسن عمله لله -جل وعلا-.

ومن أسرار هذه الموعظة الكبرى: أن الله -تبارك وتعالى- صرح بأن الحكمة التي خلق الخلق من أجلها هي أن يبتليهم أيهم أحسن عملًا، ولم يقل: أيهم أكثر عملًا، فالابتلاء في إحسان العمل، كما قال تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الآية [هود: ٧].

وقال في المُلك: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢].

ولا شك أن العاقل إذا علم أن الحكمة التي خُلق من أجلها هي أن يُبتلى - أي يُختبر - بإحسان العمل؛ فإنه يهتم كل الاهتمام بالطريق الموصلة لنجاحه في هذا الاختبار، ولهذه الحكمة الكبرى سأل جبريل النبي -صلى الله عليه

وسـلم- عن هذا ليُعَلِّمَه لأصحاب النبـي -صلى الله عليه وسلم- فقال: «**أخبرني عن الإحسان**» - أي: وهو الذي خُلق الخلـق لأجـل الاختبار فيـه - فبين النبي -صلـى الله عليه وسـلم- أن الطريـق إلـى ذلك هي هـذا الواعـظ، والزاجر الأكبر الذي هو مراقبة الله تعالى، والعلم بأنه لا يخفى عليه شـيء مما يفعل خلقه، فقال له: «**الإحسـان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» [1].

هكذا فسَّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الإحسان تفسـيرًا لا يستطيعه أحد من المخلوقين غيره لِما أعطاه الله تعالى من جوامع الكلم.

وقال أيضًا -رحمه اللـه تعالى-: قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود: ٥].

(١) «أضواء البيان» (٣/ ٩، ١٠) بتصرف.

«يبين تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه لا يخفى عليه شيء، وأن السر كالعلانية عنده، فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر، وما يُعْلَن وما يُسَرُّ، والآيات المبينة لهذا كثيرة جدًّا، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله -جل وعلا-: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف: ٧]، وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية [يونس: ٦١].

ولا تقلبُ ورقة من المصحف الكريم إلا وجدتَ فيها آية بهذا المعنى[1].

(١) وما ذاك إلا لتتربى قلوب المؤمنين على المراقبة عن طريق التعبد بأسمائه الحسنى: الرقيب، الشهيد، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها حصلت له المراقبة، من مثل قوله تعالى: =

تنبيه مهم:

اعلـم أن الله -تبـارك وتعالى- ما أنزل من السـماء إلى الأرض واعظًـا أكبـر، ولا زاجـرًا أعظـم ممـا تضمنته هذه الآيات الكريمة وأمثالها في القرآن، من أنه تعالى عالم بكل مـا يعملـه خلقه، رقيب عليهـم، ليس بغائب عمـا يفعلون، وضـرب العلمـاء لهـذا الواعظ الأكبـر، والزاجـر الأعظم مثـلًا ليصير بـه كالمحسـوس، فقالوا: لـو فرضنـا أن مَلِكًا قتَّالًا للرجال، سـفاكًا للدماء، شـديد البطـش والنكال على من انتهك حرمته ظلمًا، وسـيَّافه قائم على رأسه، والنِّطْع[1] مبسـوط للقتل، والسـيف يقطر دمًا، وحول هـذا الملك -

= ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ الآية [الأحزاب: ٥٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ الآية [المجادلة: ٦] أي: يعلم كل شيء بالمعاينة والرؤية، فكل شيء عنده مشهود، وليس عليه غيب، ولا يخفاه سر، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ الآية [الحجرات: ١٨]، وقوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقوله: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ الآية [الزخرف: ٨٠] وقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ الآية [فصلت: ٥٤].

(١) النِّطْع: بساط من الجلد، كثيرًا ما كان يُقتل فوقه المحكومُ عليه بالقتل.

الـذي هذه صفته - جواريـه وأزواجه وبناتـه، فهل ترى أن أحدًا من الحاضرين يَهمُّ بريبة أو بحرام يناله من بنات ذلك الملـك وأزواجه، وهو ينظـر إليه، عالم بأنـه مطلع عليه؟! لا وكلا، بـل جميـع الحاضريـن يكونـون خائفيـن، وَجِلةً قلوبهُم، خاشعةً عيونُهم، ساكنةً جوارحُهم؛ خوفًا من بطش ذلك الملك [1].

ولا شـك -وللـه المثـل الأعلـى- أن رب السـموات والأرض -جـل وعلا- أشـد علمًا، وأعظم مراقبة، وأشـد بطشًـا، وأعظم نـكالًا وعقوبة من ذلك الملـك، وحِماه في أرضه محارمه». اهـ [2].

(١) ونظير ذلك ما استُحدِث في المستشفيات والمصانع والمحلات التجارية، حيث تُبث الكاميرات التليفزيونية في شتى المواقع لمراقبة العمال واللصوص، الذين ينزجرون بذلك لاحتمال تسلط الكاميرا عليهم وبالتالي انكشاف أمرهم، ولله المثل الأعلى.

(٢) «أضواء البيان» (٣/ ٩، ١٠) بتصرف، والحِمى: موضع فيه كَلَأ يُحمى من الناس أن يُرعى.

لقد جعل الله -عز وجل- التزكية إحدى المهمات التي من أجلها بَعَثَ رسولَه -صلى الله عليه وسلم-، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وأقسم الله -عز وجل- أحدَ عشرَ قَسَمًا على حقيقة واحدة هي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وبيَّن أنه لا يدخل الجنة إلا نفس زكية طاهرة طيبة، قال -عز وجل-: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

ومن ثَمَّ رفع النبي -صلى الله عليه وسلم- شأن تزكية النفس، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاثٌ من فَعَلَهن فقد طَعِم طَعْمَ الإيمان: من عَبَدَ الله وحده، وأنه لا إله إلا الله،**

وأعطى زكاةَ مالِه طيبةً بها نفسُه، رافدةً [1] عليه كلَّ عام، ولا يُعطي الهَرِمَةَ، ولا الدَّرِنَةَ [2]، ولا المريضة، ولا الشَّرَطَ [3]، اللئيمة [4]، ولكن من وَسَط أموالكم [5]، فإن الله لم يسألكم خيرَه، ولم يأمركم بشره» [6].

زاد البيهقي في روايته: «**وزكَّى عبدٌ نفسَه**»، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسَه يا رسول الله؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**يعلم أن الله -عز وجل- معه حيثما كان**». قال

---

(١) رافدة: فاعلة من الرِّفد، وهو الإعانة والعطاء والصلة، يقال: رفدته أرفده إذا أعنته، أي تُعينه نفسُه على أداء الزكاة.

(٢) الدرِنة: الجرباء، وأصل الدرن: الوسخ.

(٣) الشرَط: قال أبو عبيد: هو صغار المال وشراره، وقال الخطابي: والشرط: رُذالة المال.

(٤) اللئيمة: البخيلة باللبن، ويقال: لئيم، للشحيح، والدني النفس، والمَهين.

(٥) فيه دليل على أنه ينبغي إخراج الزكاة من أوساط المال، لا من شراره، ولا من خياره.

(٦) رواه أبو داود (١٥٨٢) بسند فيه انقطاع، ووصله الطبراني في «الصغير» ص (١١٥)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٩٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٤٦).

الإمـام محمد بن يحيى الذُّهلـي: «يريد أن الله علمُه محيط بكل مكان، والله على العرش»[1].

وعن أسامة بن شريك -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلـى الله عليه وسـلم-: «**ما كَرِهْـتَ أن يراه النـاسُ ؛ فلا تفعلْه إذا خَلَوْتَ**»[2].

أي: إذا كنت في خلـوة بحيث لا يراك إلا الله -تعالى- والحفظة، وهذا ضابط وميزان.

وقال النابغة:

إن من يركب الفواحش سِرًّا حين يخلو بسره غيرُ خالِ
كيف يخلو وعنده كاتباه شاهداه وربُّه ذو المِحَالِ[3]

(١) انظر: «مختصر العلو» للذهبي ص (٢٠١).

(٢) رواه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (١٢، ١٣)، والضياء في «المختارة»، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٥٥).

(٣) «ديوان النابغة» ص (٦٤)، وذو المِحَال: عظيم المكر، شديد العقوبة.

وعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: «لا يجد عبدٌ صريح الإيمان حتى يعلم بأن الله تعالى يراه، فلا يعمل سِرًّا يُفتضح به يوم القيامة».

وعن عبد الله بن دينار قال: «خرجتُ مع ابن عمر إلى مكة، فعرَّسنا [1]، فانحدر علينا راعٍ من جبل، فقال له ابن عمر: أراعٍ؟ قال: نعم، قال: بِعْني شاةً من الغنم، قال: إني مملوك، قال: قل لسيدك: أكلها الذئب، قال: فأين الله -عز وجل-؟ قال ابن عمر: فأين الله!! ثم بكى، ثم اشتراه بعدُ، فأعتقه!» [2]، وفي رواية: «فأعتقه، واشترى له الغنم» [3].

وقال أبو الفتح بن مخرق: تعلَّق رجل بامرأة من بنات الشام، فتعرض لها وبيده سكِّين، لا يدنو منه أحد إلا عَقَره،

(١) عَرَّس المسافرون، وأعرسوا: نزلوا آخر الليل للراحة.

(٢) انظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ٣٤٧) ونسبه للطبراني، وقال: «ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن الحارث الحاطبي، وهو ثقة».

(٣) وفي «الإحياء» (٤/ ٣٩٦): أن الذي كان مع ابن دينار أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه-، وفي آخره: أنه أعتقه، وقال: «أعتَقْتُكَ في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تُعتِقَك في الآخرة».

وكان الرجلُ شديدَ البدن، فبينا الناس كذلك، والمرأة تصيح من يده، إذ مرَّ بشْرُ بن الحارث الحافي، فدنا منه وحكَّ كَتِفه بكتف الرجل، فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بِشْرٌ، فَدَنَوْا من الرجل وهو يرشح عرقًا كثيرًا، ومضتِ المرأة بحالها، فسألوه: «ما حالك؟» فقال: ما أدري، ولكني حاكني شيخٌ، وقال: «إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل»؛ فضعفتْ لقوله قدماي، وهِبتُهُ هيبة شديدة، لا أدري مَن ذاك الرجل؟ فقالوا له: «ذاك بشر بن الحارث»، فقال: «واسوءتاه!! كيف ينظر إليَّ بعد اليوم؟!»، وحُمَّ الرجل من يومه، ومات اليوم السابع [1].

وقال أبو عبد الله الأنطاكي: «أفضل الأعمال: ترك المعاصي الباطنة»، فقيل له: ولم ذلك؟ قال: «لأن الباطنة إذا تُركت كان صاحبها للمعاصي الظاهرة أَتْرَكَ».

(١) كتاب «التوابين» لابن قدامة ص (٢١٣).

وقـال بعض أهل العلـم: «من كانت سـريرتُه أفضلَ من علانيته فذلك الفضل، ومن تساوت سريرته وعلانيته فذلك العدل، ومن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور».

وفـي قوله -عز وجل-: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤] تنبيـه على أن العبد إذا علم أن ربه يراه اسـتحيا من ارتكاب الذنب.

ومـن علـم أن معبوده مشـاهد لعبادته تعين عليـه تزيينُ ظاهره بالخشـوع، وباطنه بالإخلاص والحضور، فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

قـال ابن المبارك لرجل: «راقب الله تعالى»، فسـأله عن تفسيره، فقال: «كن أبدًا كأنك ترى الله -عز وجل-».

وقال رجل لوهيب بن الورد: عظني، قال: «اتقِ أن يكون اللـهُ أهونَ الناظرين إليك» [1].

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٢).

وقال سفيان الثوري: «عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء».

وقال ابن منظور -رحمه الله تعالى-: «فسَّر النبي -صلى الله عليه وسلم- الإحسان حين سأله جبريل -صلوات الله عليهما وسلامُه- فقال: «**هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك**»، أراد بالإحسان الإشارة إلى المراقبة وحُسْن الطاعة، فإن من راقب الله أحسن عمله»[1].

وعن حاتم الأصم قال: «لو أن صاحب خبر جلس إليك لكنت تتحرز منه، وكلامُك يُعرض على الله فلا تحترز!»[2].

وقال الربيع بن خثيم: «إذا تكلمتَ فاذكر سمع الله إليك، وإذا هممتَ فاذكر علمه بك، وإذا نظرتَ فاذكر نظره إليك، وإذا تفكرتَ فاذكر اطلاعه عليك، فإنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٦].

---

(١) «لسان العرب» (١٣/ ١١٥ - ١١٧).

(٢) «نزهة الفضلاء» (٢/ ٩٦١).

وجاء رجل إلى أبي يزيد البسطامي، فقال: أوصني؛ فقال له: انظر إلى السماء؛ فنظر إلى السماء؛ فقال له أبو يزيد: أتدري من خلق هذا؟ قال الله، قال أبو يزيد: «إن مَن خلَقَها لَمُطَّلِعٌ عليك حيثُ كنتَ، فاحذرْه» [1].

وعن زيد بن علي قال: «إني لأستحيي من عظمته أن أفضيَ إليه بشيء أستخفيه من غيره» [2].

وقال أبو عثمان الزاهد: «سرائرَكم سرائرَكم، فإن المُطَّلِعَ على السرائر يراقبكم» [3].

وقال رجل للجُنيد: «بم أستعين على غض البصر؟» فقال: «بعلمك أن نظرَ الناظرِ إليك أسبقُ من نظرِك إلى المنظورِ إليه».

---

(١) «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٥).

(٢) «شعب الإيمان» (٦/ ١٥٠) رقم (٧٧٥١).

(٣) «نفس المرجع».

وقال حميد الطويل لسليمان بن عليٍّ: عظني، فقال: «لئن كنت إذا عصيتَ الله خاليًا ظننتَ أنه يراك، لقد اجترأتَ على أمر عظيم، ولئن كنت ظننتَ أنه لا يراك، فقد كفرتَ».

وقال محمود الوراق:

ألا أيها المستطرف الذنب جاهلاً
هو الله لا تخفى عليه السرائرُ
فإن كنت لم تعرفه حين عصيته
فإن الذي لا يعرفُ الله كافر
وإن كنت مِن علم به قد عرفته
عصيت فأنت المستهين المجاهر
فأيها حالك اعتقدت فإنه
عليم بما تُطْوَى عليه الضمائر[1]

وقال الجُنيد: «معاشر الفقراء، إنما عُرِفتم به، وأُكرِمتم من أجله، فإذا خلوتم؛ فانظروا كيف تكونون معه»[2]، وقال

(١) «نفسه» (٥/ ٤٦١).
(٢) «نفسه» (٥/ ٣٦٨).

-رحمه الله تعالى-: «من راقب الله في السر؛ حُرِست جوارحه»[1].

وعن محمد بن واسع قال: كان لقمان - عليه السلام - يقول لابنه: «يا بني، اتق الله، ولا تُرِ الناسَ أنك تخشى الله -عز وجل- ليكرموك بذلك، وقلبك فاجر».

وعن الأوزاعي قال: سمعت بلال بن سعد يقول: «لا تكن وليًّا لله -عز وجل- في العلانية، وعدوَّه في السر».

كُنْ حَيِيًّا إذا خَلَوْتَ بِذَنْبٍ وَاحْذَرِ السُّخْطَ مِن عَلِيٍّ مَجِيدِ

وعن ابن الأعرابي قال: «أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالِحَ أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد».

وقال الشافعي -رحمه الله تعالى-: «أشد الأعمال ثلاثة: الجود في القلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يُرجَى ويُخاف».

---

(١) «نفسه» (٥/ ٤٦١).

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الآية [الجاثية: ٢٣]، قال: «هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه».

وعنه -رحمه الله تعالى- قال: «من النفاق: اختلافُ اللسانِ والقلب، واختلافُ السر والعلانية، واختلافُ الدخول والخروج».

وقال فرقد: «إن المنافق ينظر، فإذا لم ير أحدًا دخل مدخل السوء، وإنما يراقب الناس، ولا يراقب الله تعالى».

وعن يحيى بن معاذ الرازي قال: «من خان الله في السر؛ هتك ستره في العلانية»[1].

يا كاتم السر ومخفيه ... أين من الله تواريه

بارزتَ بالعصيانِ ربَّ العُلا ... وأنت من جارك تخفيه

آخر:

مَن عامَلَ الله بتقواه ... وكان في الخلوات يخشاه

سقاه كأسًا من لذيذ المنى ... يُغنيه عن لذِة دنياه

(١) «نفسه» (٥/ ٤٦٠).

آخر:

وإذا خلوتَ بريبةٍ في ظلمة والنفسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ

فاستحي من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

آخر:

إذا كنت فَردًا لا بِمَرْأَى ومَسْمَعٍ

مِن الناسِ فاحذَرْ مُنْشِئَ السمعِ والبصَرْ

ولا ترتكبْ ما لو دَراهُ ابنُ آدَمٍ

لَبَرْقَعَ خَدَّيْكَ التشَوُّرُ [1] والخَفَرْ

مَسَاوِيكَ تُخْفِيها حِذارًا من الورى

أليس إلهُ الخَلقِ أَخْلَقَ بالحَذَرْ

بلى فَتَصَوَّنْ في خَلائك فوق ما

تَصَوَّنْتَ قِدْمًا بين ظَهرَانَيْ البشَرْ

وكُنْ رجلاً ما سَرَّ ما هو مُعْلَنٌ

من الخيرِ إلا دون ما سرَّ ما أسَرْ

(١) شوَّرتُ الرجلَ فتَشوَّر؛ إذا خَجَّلْتَه، فخَجِل.

استوصى رجل بعض السلف، فقال: «أوصيك بحفظ نفسك من نفسك، وتذكر قوله -عز وجل-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ الآية [الأنعام: ٦٠].

إذا ما خلوتَ الدهرَ يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عَلَيَّ رقيبُ

ولا تحسبن اللهَ يَغْفُلُ ساعةً ... ولا أن ما تُخفِيهِ عنه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرعُ ذاهبٍ ... وأن غدًا للناظرين قريب

قال الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى-: «إنَّ العَبْدَ متى عَلِمَ أنَّ الرَّبَّ تَعَالَى نَاظِرٌ إليه أوْرَثَهُ هذا العِلْمُ حياءً منه سُبحانه، فَيَجْذِبُهُ إلى احتمال أَعْبَاءِ الطَّاعةِ، وذلك كَمَثَل العَبْدِ إذا عَمِلَ الشُّغْلَ بين يَدَيْ سَيِّدِهِ، فإنَّهُ يَكُونُ نشيطًا فيه، مُحْتَمِلًا لأعبَائِهِ، ولا سيما مع الإحسانِ مِنْ سَيِّدِهِ، والله -عز وجل- لا يَغِيبُ نَظَرُهُ عَنْ عَبْدِهِ، فإذا ما غَابَ نَظَرُ العَبْدِ عَنْ كَوْنِ المَوْلَى ناظِرًا إليه تَوَلَّدَ مِنْ ذلك قِلَّةُ الحياءِ والقِحَةُ، هذا ولاسْتِقْبَاح الْجِنَايَةِ النَّاشئ عن الحياء درجتان أُخريان،

دُنْيَا: وهي الاسْتِقْبَاحُ الحاصِلُ عنْ مُلاحظةِ الوَعِيدِ، وعُلْيَا: وهي الاسْتِقْبَاحُ الحاصلُ عَنِ المَحَبَّةِ.

ومِنَ الحياء ما يَتَوَلَّدُ مِـنْ تَحَقُّقِ القَلْبِ بالْـمَعِيَّةِ الخَاصَّةِ مع اللهِ -عز وجل-» [1].

(١) انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٦٤، ٢٦٥).

فصل

خلوة الذين يستحيون من اللّه -جل وعلا-

عن أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**ثلاث منجيات: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى**»[1] الحديث.

وكان -صلى الله عليه وسلم- يقول في دعائه: «**اللَّهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك**»[2] الحديث، وكان يقول أيضًا: «**وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة**»[3].

---

(١) قال المنذري في «الترغيب»: «رواه البزار والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده - وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال - فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى». اهـ (١/ ١٦٢).

(٢) جزء من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- رواه الترمذي رقم (٣٤٩٧)، وحسنه، وابن السني رقم (٤٤٠)، والحاكم (١/ ٥٢٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) جزء من حديث عمار بن ياسر -رضي الله عنه- رواه الإمام أحمد =

وعـن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال -صلى الله عليه وسلم-: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشـأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلقٌ بالمسجد إذا خرج منه حتـى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله، فاجتمعا على ذلك وافترقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذاتُ منصـب وجمال، فقال: إني أخاف الله ربَّ العالمين، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شِماله ما تنفق يمينُه**»[1].

وفـي حديث الثلاثـة الذين أطبقت عليهـم صخرة وهم فـي الغـار، فلـم يجـدوا بُدًّا مـن التوسـل إلى اللـه بصالح أعمالهـم، وفيه: أن الثالث استشـفع بأنه: كانـت له ابنة عم يهواهـا، فمـا زال يراودها عن نفسـها، حتى ألـمَّ بها قحط، فراودهـا، فخضعت له، فلما تمكن منها، قالت له: «**اتق الله،**

= (٤/ ٢٦٤) والحاكم (١/ ٥٢٤، ٥٢٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، ورواه أيضًا النسائي (٣/ ٥٥) في السهو.

(١) رواه البخاري (٣/ ٢٩٣ - فتح)، ومسلم رقم (١٠٣١)، والترمذي رقم (٢٣٩٢)، والنسائي (٨/ ٢٢٢، ٢٢٣).

ولا تفضَّ الخاتَم إلا بحقه»، فإذا هو يرتعد من خشية الله، وينصرف عنها، ويترك لها الذهب الذي أعطاها ابتغاء وجه الله، فأزال الله الصخرة عن فم الغار بفضل أعمالهم الصالحة [1].

ويُروى عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**كان فيمن كان قبلكم رجل اسمه الكِفْل، وكان لا ينزع عن شيء**»، وفي رواية: «**كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتى امرأة علم بها حاجة، فأعطاها عطاءً كثيرًا** -وفي رواية: **ستين دينارًا**- **فلما أرادها على نفسها ارتعدت، وبكت، فقال: ما يُبكيكِ ؟ قالت: لأن هذا عمل ما عملته قط، وما حَمَلَني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنتِ هذا من مخافة الله ؟ فأنا أحرى، اذهبي فلكِ ما أعطيتُك، ووالله لا أعصيه أبدًا، فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إن الله تعالى قد غفر للكفل،**

(١) انظر: نص الحديث في «البخاري» (٤/ ٦٥٧، ٦٥٨)، ومسلم رقم (٢٧٤٣)، وأبي داود رقم (٣٣٨٧).

فعجب الناس من ذلك، حتى أوحى الله تعالى إلى نبي زمانهم بشأنه» [1].

وعن سعيد بن جبير قال: كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا أمسى أخذ دِرَّته، ثم طاف بالمدينة، فإذا رأى شيئًا ينكره أنكره، فبينما هو ذات ليلة يَعُسُّ [2] إذ مَرَّ بامرأة على سطح، وهي تقول:

تطاول هذا الليل واخْضَلَّ[3] جانبُهْ ... وأرَّقني أن لا خليل ألاعبُهْ

فَوَاللهِ لولا الله لا ربَّ غيره ... لَحُرِّك مِن هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يصونني ... وأُكرِمُ بعلي أن تُنال مراكبه

---

(١) رواه -بنحوه- الترمذي رقم (٢٤٩٦) (٤/ ٦٥٧، ٦٥٨)، وقال: «حديث حسن»، وابن حبان رقم (٢٤٥٣ - موارد)، وهو عند الحاكم (٤/ ٢٥٤، ٢٥٥)، وصححه، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في «الضعيفة» رقم (٤٠٨٣).

(٢) عَسَّ: طاف بالليل يكشف عن أهل الرِّيبة.

(٣) اخْضَلَّ: أظلم، وأقبل طيبُ بَرْدِه.

ثم تنفست الصُّعَداء [1]، وقالت: «لهان على عمر ابن الخطاب ما لقيتُ الليلة»، فضرب باب الدار، فقالت: من هذا الذي يأتي إلى امرأة مُغِيبة [2] هذه الساعة؟ فقال: افتحي، فأبت، فلما أكثر عليها، قالت: أما والله لو بلغ أميرَ المؤمنين لعاقبك، فلما رأى عفافها قال: افتحي فأنا أمير المؤمنين، قالت: كذبتَ ما أنت بأمير المؤمنين، فرفع بها صوته، وجهر لها، فَعَرَفَتْ أنه هو، ففتحت له، فقال: هيه كيف قلت؟ فأعادت عليه ما قالت، فقال: أين زوجك؟ قالت: في بعث كذا وكذا، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن سرِّح فلان بن فلان، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك، ثم دخل على حفصة ابنته، فقال: أي بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: شهرًا واثنين وثلاثة، وفي الرابع ينفد الصبر، فجعل ذلك أجلًا للبعث [3].

(١) الصُّعَدَاء: المشقة، وتنفس الصعداءَ: نفسًا ممدودًا، أو مع توجُّع.

(٢) مُغيبة: غاب عنها زوجها.

(٣) انظر: «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» لابن الجوزي ص(٨٣، ٨٤)، =

وعن الشعبي قال: مَرَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في بعض طرق المدينة، فسمع امرأة تقول:

دَعَتْني النفسُ بعدَ خروج عمرٍو إلى اللذات فاطَّلَعَ التِّلاعا[1]

فقلتُ لها عَجِلْتِ فلن تُطاعي ولو طالت إقامتُه رِباعا[2]

أحاذِرُ إن أطعْتُكِ سَبَّ نفسي ومَخْزاةً تُجَلِّلُني قِناعا

فقال عمر - وأُتي بالمرأة -: أي شيء منعك؟ قالت: «الحياء، وإكرام عِرضي»، فقال -رضي الله عنه-: «إن الحياء ليدل على هَنَاتٍ ذاتِ ألوان، من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتقى وُقي»، وكتب إلى صاحب زوجها، فأقفله إليها.

وراود رجل امرأة، فقالت: ألا تستحيي؟ فقال: لا يرانا إلا الكواكب، فقالت: «وأين أنت من مُكَوكِبها؟».

= و«المصنف» لعبد الرزاق (٧/ ١٢٥٩٤)، و«المغني» (٧/ ٢٩).

(١) التِّلاع جمع تَلْعَة: وهي ما ارتفع من الأرض.

(٢) رِباع: جمع ربيع، وانظر: «القاموس المحيط» ص (٩٢٨) - طبعة مؤسسة الرسالة ١٤١٣ هـ.

وقال عباس الدُّوري: كان بعض أصحابنا يقول: كان سفيان الثوري كثيرًا ما يتمثَّل بهذين البيتين:

تفنى اللذاذةُ ممن نال صفوتَها من الحرام ويبقى الوِزْرُ والعارُ

تبقى عواقبُ سُوءٍ في مَغَبَّتِها لا خيرفي لذةٍ من بعدِها النارُ[3]

وكان أبو عبد الله الأنطاكي يقول: «أفضل الأعمال: ترك المعاصي الباطنة»، فقيل له: ولم ذلك؟ قال: «لأن الباطنة إذا تُركت كان صاحبها للمعاصي الظاهرة أَتْرَكَ».

وكان أحد الزهاد يقول: «يا ويحي، عاملتُ الناسَ بالأمانة، وعاملتُ ربي بالخيانة، فليتني عكستُ»، ثم يبكي.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]: «هو الرجل يخلو بمعصية الله، فيذكر مقام الله فَيَدَعَها فَرَقًا من الله».

فمن ثم قال الإمام أحمد -رحمه الله-: «الفتوة: ترك ما تهوى لما تخشى».

---

(٣) «روضة المحبين» ص (٣٣٠).

وقال بشر بن الحارث: «لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد».

وعن زيد بن أسلم قال: «خَلَّتان فمن أخبرك أن الكرامة إلا فيهما فكَذِّبْه: إكرامك نفسك بطاعة الله، وإكرامك نفسك عن معاصي الله»[1].

وعن مالك بن دينار قال: «إن الأبرار تغلي قلوبهم بأعمال البر، وإن الفجار تغلي قلوبهم بأعمال الفجور، والله يرى همومكم، فانظروا في همومكم»[2].

وقال ابن الجوزي: «والرجلُ - واللهِ - من إذا خلا بما يُحِبُّ من المحرم، وقدر عليه، وتقلقل عطشًا إليه، نظر إلى نظر الحق إليه، فاستحيا من إجالة همه فيما يكرهه، فذهب العطش».

---

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٤٥٠).

(٢) «نفسه» (٥/ ٤٦٠).

وعن شقيق بن سلمة أنه تلا هذه الآية: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ الآية [مريم: ١٨]، قال: «لقد عَلِمَتْ أن التَّقيَّ ذو نُهْيَة».

وقال محمد بن الفضل: «ما خطوت أربعين سنة خطوة لغير الله -عز وجل-، وأربعين سنة ما نظرت في شيء أستحسِنُه حياءً من الله -عز وجل-».

وقال أبو مسلم الخولاني: «من نعمة الله عَلَيَّ أنني منذ ثلاثين سنة ما فعلت شيئًا يُستحيا منه إلا قربي من أهلي».

وعن محمد بن سيرين أنه -رحمه الله- قال: «ما غشيت امرأة قط لا في يقظة ولا في نوم غير أم عبد الله، وإني لأرى المرأة في المنام، فأعلم أنها لا تحل لي، فأصرف بصري».

قال بعضهم: «ليت عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام!».

يقظاته ومناماه شَرْعٌ [1] كلٌّ بِكُلٍّ فهو مُشْتَبِهُ

(١) شَرْعٌ: سواء.

إن هَـمَّ فـي حُـلْـمٍ بفـاحشـةٍ زَجَـرَتْـهُ عِـفَّـتُـهُ فـينـتـبِـهُ

آخر:

فـسِـرِّي كـإعـلانـي وتـلـك خـليـقـتي

وظـلـمـةُ لـيـلي مِـثـلُ ضـوءِ نـهـاري[1]

وقـال مسـلـم بـن الوليـد يمـدح من يكـون فـي خلوته كمشهده مع الناس:

يـتـجـنـب الـهـفـواتِ فـي خـلـواتـه

عـفُّ الـسـريـرة غَـيْـبُـه كـالـمـشـهـدِ

(١) «أدب الدنيا والدين» ص (٢٥).

فصل

خلوة الذين لا يستحيون من اللّه

- سبحانه وتعالى -

أما الذين لا يستحيون من الله -تعالى- في خلواتهم؛ فإنه يبدو لهم -إذا وافَوْا يوم القيامة- من الله ما لم يكونوا يحتسبون:

عن أبي عامر الألهاني -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لَأَعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثالِ جبالِ تِهامةَ** [1] **بيضًا، فيجعلها الله هباءً منثورًا**»، قال ثوبان: «يا رسول الله، صِفْهم لنا، جَلِّهم لنا، ألَّا نكون منهم ونحن لا نعلم»، قال: «**أما إنهم إخوانكم، ومن**

(١) تهامة: اسم لكل ما نزل من نجد في بلاد الحجاز، ومكة من تهامة، سميت تهامة من التَّهَم، وهو شدة الحر، وركود الريح.

جِلدتكم[1]**، ويأخذون من الليل كما تأخذون**[2]**، ولكنهم أقوام إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكوها**» [3].

وصَحَّ عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال يوم النحر: «**... ألا وإني فَرَطُكُم** [4] **على الحوض أنظركم، وإني مكاثرٌ بكم الأممَ، فلا تُسَوِّدوا وجهي** [5]» الحديث [6].

وقال ميمون بن مِهران: «علانيةٌ بغيرِ سريرة مثلُ كَنيفٍ[7] مُزَخْرَفٍ مِن خارجه، ومن داخله النتنُ والخبث».

ودَعِ الذين إذا أتوك تنسَّكوا وإذا خَلَوْا فهم ذئابُ خفافِ

(١) أي: من جنسكم.

(٢) أي: لهم نصيب من التهجد وقيام الليل.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٥)، وصححه المنذري في «الترغيب» (٣/ ١٧٨)، والبوصيري في «الزوائد» (٣/ ٣٠٦)، وهو في «السلسلة الصحيحة» رقم (٥٠٥).

(٤) فَرَطُكُم على الحوض: مُتَقَدِّمُكم إليه.

(٥) فلا تسودوا وجهي: بأن تكثروا المعاصي، فلا تصلحوا لأن يُفْتَخَر بمثلكم.

(٦) رواه الإمام أحمد (٣٨/ ٤٨٢) ط. الرسالة، وابن ماجه (٣٠٥٧) من حديث ابن مسعود -رضي الله عنه-، وصححه الألباني.

(٧) الكنيف هنا: المرحاض.

قال محمد بن إسحاق: نزل السري بن دينار في درب بمصر، وكانت فيه امرأة جميلة فتنت الناس بجمالها، فعلمت به المرأة، فقالت: «لأفتننه»، فلما دخلت من باب الدار تكشَّفَت، وأظهرت نفسها، فقال: «ما لك؟»، فقالت: «هل لك في فراش وَطيٍّ، وعيش رَخِيٍّ؟»، فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذي معاصٍ نال منهن لذةً
ومات فَخَلَّاها وذاق الدواهيا
تَصَرَّمُ لذاتُ المعاصي وتنقضي
وتبقى تِباعاتُ[1] المعاصي كما هيا
فيا سوأتا واللهُ راءٍ وسامعٌ
لعبدٍ بعين الله يغشى المعاصيا[2]

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «يا صاحب الذنب لا تأمنن من سوء عاقبته، ولَمَا يتبع الذنبَ أعظمُ

(١) تِباعة الأمر: عاقبته، وما يترتب عليه من أثر.
(٢) «روضة المحبين» ص (٣٣٩).

مـن الذنب إذا عملتـه: قلةُ حيائك مِمَّن علـى اليمين وعلى الشـمال - وأنـت علـى الذنب - أعظـمُ من الذنـب الذي عملتَـه، وضَحِـكُكَ -وأنـت لا تـدري ما اللـه صانعٌ بك- أعظـمُ من الذنب، وفرحُـك بالذنب -إذا ظفرتَ به- أعظمُ مـن الذنـب، وحزنُك على الذنـب -إذا فاتـك- أعظمُ من الذنـب إذا ظفرتَ بـه، وخوفُك من الريح إذا حَرَّكت سِـتْرَ بابك -وأنت على الذنب، ولا يضطربُ فؤادُك من نظر الله إليك- أعظمُ من الذنب إذا عملتَه» [1].

وقال ابن السـماك: «لقد أمهلكم حتى كأنه أهملكم، أما تستحيون من الله من طول ما لا تستحيون؟!».

وقال ابـن رجب -رحمه اللـه تعالى-: «خاتمة السـوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد، لا يطلع عليها الناس».

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٣٢٤).

وقال بعضهم:

«ذنـوب الخلـوات تـؤدي إلـى الانتكاسـات، وطاعـة الخلوات طريق للثبات حتى الممات».

أستغفِرُ اللهَ مما يعلمُ اللهُ إن الشقِيَّ لَمَنْ لا يرحمُ اللهُ

ما أحلمَ اللهَ عمن لا يراقِبُهُ كلٌّ مسيءٌ ولكنْ يَحْلُمُ الله

فاستغفرِ اللهَ مِمَّا كان مِن زَلَلٍ طوبى لمن كَفَّ عما يكرهُ اللهُ

طوبى لمن حَسُنَتْ سَريرتُه طوبى لمن ينتهي عما نهى اللهُ

فصل

المحسنون... وعمل السر

إن المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه -عز وجل-؛ لم يكتفوا بتخلية خلواتهم عن المعاصي والمخالفات، بل زينوها بالطاعات والقربات، وعمروها بألوان العبادات، امتثالًا لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القائل: «**من استطاع منكم أن يكون له خَبْءٌ من عملٍ صالحٍ فليفعل**»[1].

وبيَّن -صلى الله عليه وسلم- فضيلة عمل السر، ومحبة الله -عز وجل- لأهله، وذلك فيما رواه أبو ذر -رضي الله عنه- أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «**ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يَشْنَؤهم الله: الرجل يلقى العدوَّ في فئة فينصُبُ لهم نحره حتى يُقتلَ أو يُفتحَ لأصحابه، والقومُ يسافرون فيطولُ سُراهم حتى**

---

(١) رواه من حديث الزبير: الضياء كما في «الجامع الصغير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥/ ٢٤٠).

يُحِبُّوا أن يَمَسُّوا الأرضَ، فينزلون ؛ فيتنحى أحدُهم، فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم، والرجل يكون له الجارُ يؤذيه جاره، فيصبر على أذاهُ حتى يفرِّقَ بينهما موتٌ أو ظَعَنٌ، والذين يشنؤهم اللهُ: التاجرُ الحلَّاف، والفقيرُ المختال، والبخيلُ المنان» [1].

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«عجب ربنا من رَجُلين: رجلٍ ثار عن وِطائه ولِحافه من بين حَيِّه وأهلِه إلى صلاته رغبةً فيما عندي، وشَفَقًا مما عندي، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه، فعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى أُهْرِيقَ دَمُه، فيقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي، وشَفَقًا مما عندي حتى أُهْريقَ دمُه»** [2].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣)، والترمذي رقم (٢٥٦٨)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وبنحوه الحاكم (١/ ٤١٦)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤١٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٩٣٠)، وصححه ابن حبان (٦٤٣)، وحسنه الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٥٥)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٦/ ٣٩٤٩).

وعـن أبي هريـرة -رضي اللـه عنه- قال رسـول الله -صلى الله عليه وسـلم-: «**حُـرِّم على عينين أن تمسَّـهما النار: عيـن بكت من خشـية الله، وعين باتت تحرس الإسـلام وأهلَه من أهل الكفر**» [1].

وكان الزبير بن العوام -رضي الله عنه- يقول: «اجعلوا لكم خبيئة من العمل الصالح، كما أن لكم خبيئةً من العمل السيئ».

وقال معاوية بن قرة: «من يدلني على رجل يبكي بالليل، ويبتسم في النهار ؟» يعني: أن ذلك قليل.

وعـن الحسـن، عن سـمرة بـن جندب -رضـي الله عنـه- قال: «مـن سَـرَّه أن يعلم ما لَـه عند اللـه؛ فلينظر ما لله عنده، ومن سَرَّه أن يعلم مكان الشيطان منه فلينظره عند عمل السر».

(١) رواه الحاكم (٢/ ٨٣)، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣/ ٨٩).

وقال الإمام الشـافعي -رحمه اللـه تعالى-: «من أحب أن يفتـح الله قلبه أو ينوره؛ فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه، واجتنـاب المعاصـي، ويكون لـه خبيئة فيما بينـه وبين الله -تعالى- من عمل».

وقال سـفيان بن عيينـة: قال أبو حازم: «اكتم حسـناتِك أشد مما تكتم سيئاتك».

وقال سـفيان الثوري: «بلغني أن العبد يعمل العمل سرًّا فـلا يزال به الشـيطان حتى يغلبـه، فيُكتب فـي العلانية، ثم لا يزال الشـيطان به حتـى يُحِبَّ أن يُحْمَد عليه فيُنسـخ من العلانية، فيثبت في الرياء».

وقال أيوب السَّخْتِياني: «والله ما صدق عبد إلا سَرَّه ألَّا يُشْعَرَ بمكانه».

وقـال أيضًـا: «لأن يَسـتر الرجـلُ الزهدَ خير لـه من أن يُظهره».

وقال بشر بن الحارث: «لا أعلم رجلًا أحبَّ أن يُعرف إلا ذهب دينُه وافتُضِحَ»، وقال: «لا يجد حلاوة الآخرة رجل يحب أن يعرفه الناس».

وقال الحارث المحاسبي -رحمه الله تعالى-: «الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه، ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله».

ولقد حفلت سير السلف الصالح ومن سلك سبيلهم بنماذج رائعة من الاجتهاد في عمل السر، فهاك بعضها:

قال أبو حمزة الثمالي: كان علي بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل، فيتصدق به، ويقول: «إن صدقة السر تطفئ غضب الرب -عز وجل-».

وعن شيبة بن نعامة قال: «كان علي بن الحسين يُبَخَّل، فلما مات وجدوه يقوِّت مائة أهل بيت بالمدينة».

قـال جرير: «إنه حين مات وجدوا بظهـره آثارًا مما كان يحمل بالليل الجُرُبَ [1] إلى المساكين».

وعـن محمد بـن إسـحاق: «كان ناس من أهـل المدينة يعيشـون، لا يـدرون من أين كان معاشـهم، فلما مات علي ابن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤتَوْن به في الليل» [2].

وقال سـفيان الثوري تلميذ منصـور: «لو رأيتَ منصورًا يصلي لقلتَ: يموتُ الساعة»، وقال زائدة بن قدامة تلميذُه: «صام منصور أربعين سـنة، وقـام ليلهـا، وكان يبكي الليل كلـه، فإذا أصبـح كحَّل عينيه، وبرَّق شـفتيه، ودهن رأسـه، فتقـول له أمُّـه: أقتلتَ قتيـلًا؟ أي: لكثرة ما تـرى من بكائه وَوَجَلِه وعبادتِـه لله -تعالى- فيقول: أنا أعلـمُ بما صَنَعَتْ نفسي».

وكان ابن سـيرين يضحك بالنهـار، فإذا جَنَّ الليل فكأنه قَتل أهلَ القرية.

(١) الجُرُب: جمع جِراب، وهو وعاء يُحفظ فيه الزادُ ونحوه.
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ١٣٥، ١٣٦).

وكان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشِج نشيجًا، ولو جُعِلَتْ له الدنيا على أن يفعله وأحدٌ يراه ما فعله [1].

وكان أيـوب السـختياني يقوم الليل كلـه، فيُخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة.

وقـال حماد بن زيد: «كان أيوب ربمـا حَدَّث بالحديث فيرق، فيلتفت فيتمخط، ويقول: ما أشـد الزكام!» يُظْهر أنه مزكـوم لإخفاء البكاء، رجاء أن يكـون ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

فإذا فشـل أحدهم في اصطناع المرض لإخفاء الدموع؛ فإنه يقوم خشـية أن يُكشف أمره، قال الحسن البصري: «إن كان الرجـل ليجلـس المجلـسَ فتجيئه عَبرتُـه فيردها، فإذا خشي أن تسبقه قام»[2].

وعنه أيضًا أنه قال: «إن كان الرجل لقد جمع القرآنَ وما يشـعر به جـارُه، وإن كان الرجل لقد فقه الفقـه الكثير، وما

(١) «الزهد» للإمام أحمد (٣٥٨).

(٢) «نفس المرجع» ص (٢٦٢).

يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّوْرُ [1]، وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم -عز وجل- ذلك أن الله -عز وجل- يقول: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ الآية [الأعراف: ٥٥]، وذلك أن الله -تعالى- ذكر عبدًا صالحًا، ورضي قوله فقال: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾، الآية [مريم: ٣].

وعن محمد بن زياد قال: رأيت أبا أمامة أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي في سجوده، ويدعو ربه، فقال أبو أمامة: «أنت أنت! لو كان هذا في بيتك؟».

وقال محمد بن واسع: «إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة، وامرأته معه لا تعلم به» [2].

(١) الزَّوْر هنا: جمع زائر، كراكب ورَكْب.
(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٧).

وقال -رحمه الله تعالى -: «لقد أدركت رجالًا كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة، قد بلَّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالًا يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده، ولا يشعر به الذي إلى جنبه» [1].

وعن ابن أبي عدي قال: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله، وكان خرازًا [2] يحمل معه غداءه من عندهم، فيتصدق به في الطريق، ويرجع عشيًّا فيفطر معهم.

وعن القاسم بن محمد قال: كنا نسافر مع ابن المبارك، فكثيرًا ما كان يخطر ببالي، فأقول في نفسي: «بأي شيء فُضِّلَ هذا الرجل علينا حتى اشتهر في الناس هذه الشهرة؟ إن كان يصلي إنا لنصلي، وإن كان يصوم إنا لنصوم، وإن كان يغزو فإنا لنغزو، وإن كان يحج، إنا لنحج»، قال: فكنا في بعض مسيرنا في طريق الشام ليلة نتعشى في بيت إذ طفئ السراج،

(١) «نفس المرجع» (٢/ ٣٤٧).

(٢) الخرَّاز: صانع الخَرَز، ومَنْ حِرْفَتُه خياطة الجِلد.

فقام بعضنا فأخذ السراج، وخرج يستصبح [1]، فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج، فنظرتُ إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع، فقلت في نفسي: «بهذه الخشية فُضِّلَ هذا الرجلُ علينا، ولعله حين فقد السراج، فصار إلى ظلمة، ذَكَرَ القيامة» [2].

وقال قَطَنُ بن سعيد: «ما أفطر ابن المبارك قط، ولا رُئي صائمًا قط»[3]، ولما قدم من البصرة إلى بغداد سأل عن محمد بن واسع، فلم يعرفه أحد، فقال: «إنه من فضله لم يُعرف»، وازداد فيه محبة وتعظيمًا لإسراره بالعبادة، وبعده عن الشهرة [4].

وأخبر محمد بن أَعْيَن - وكان صاحبَ ابنِ المباركِ في الأسفار، وكان كريمًا عليه - قال: كان ذات ليلة ونحن

(١) يستصبح: يوقد المصباح.
(٢) «صفة الصفوة» (٤/ ١٢١).
(٣) «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٧).
(٤) «تنبيه المغترين» ص (١٢).

فـي غزاة الروم، ذهب ليضع رأسَـه ليريني أنه ينام، فقعدت أنـا ورمحـي في يدي قبضـت عليه، ووضعت رأسـي على الرمـح كأني أنام كذلك، فظن أني قـد نمت، فقام فأخذ في صلاته، فلم يـزل كذلك حتى طلع الفجر وأنـا أرمقه، فلما طلع الفجر جاء فأيقظني، وظن أني نائم، وقال: «يا محمد» فقلـت: «إني لم أنم»، فلما سـمعها مني؛ مـا رأيته بعد ذلك يكلمني، ولا ينبسـط إليَّ في شـيء من غزاته كلها، كأنه لم يعجبـه ذلك مني، لما فطنت لـه من العمل، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات، ولم أر رجلًا قط أَسَرَّ بالخير منه [1].

وَحَدَّث عبـدة المروزي قال: كنا في سـرية مع عبد الله ابـن المبـارك في بلاد الـروم، فصادفنـا العدو، فلمـا التقى الصفـان خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتلـه الرومي، ثم آخرُ فقتله، فتأخر عنه المسـلمون، فصال وجال بين الصفين، ودعا إلى البراز، فخرج إليه رجل

(١) «تقدمة الجرح والتعديل» ص (٢٢٦).

فطارده ساعة، ثم طعنه فقتله، فازدحم إليه الناس، فكنت فيمن ازدحم إليه، فإذا هو يلثِّم وجهه بكمه حتى لا يعرفه الناس، فأخذت بطرف كمه فمددتُه، وأزحته عن وجهه، فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: «وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا!» [1] أي: تنشر خبرنا؟

وقال محمد بن عيسى: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طَرَسُوس، وكان ينزل الرَّقَّة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله الرقة مرة فلم يره، فخرج في النفير مستعجلًا، فلما رجع سأل عن الشاب، فقالوا: «إنه محبوس على عشرة آلاف درهم»، فاستدل على الغريم، ووزن له عشرة آلاف، وحلَّفه أن لا يخبر أحدًا ما دام عبد الله حيًّا، فأُخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال له: «يا فتى، أين كنت؟ لم أرك»، قال:

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٩٤).

«يا أبـا عبد الرحمن، كنت محبوسًـا بدَين»، قـال: «وكيف خلصتَ؟» قال: «جـاء رجل، فقضى دَيني، ولـم أدر»، قال: «فاحمد الله»، ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله [1].

ثواب المحسنين:

هذا هو الإحسـان، وهـؤلاء هم المحسـنون الذين يود المجـرم أن يعود إلى الدنيـا لينضم إلى حزبهم، قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمـر: ٥٨]، لأنهـم صفـوة اللـه مـن خلقـه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ الآيـة [النساء: ١٢٥].

هؤلاء هم المحسنون الذين يفوزون بمعية الله الخاصة، قال تعالـى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الآيـة [العنكبوت: ٦٩]، وقـال -عـز وجـل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحـل: ١٢٨]، وقال سـبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ

(١) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٣٨٦)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٥٩).

قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، هم الذين قال الله -عز وجل- فيهم: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وهم الذين أمر الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يبشرهم فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الآية [الحج: ٣٧].

هَلْ جَزَاء الإحسانِ إلَّا الإحسانُ؟

إن هؤلاء المحسنين أخلصوا العمل لله، وراقبوه مراقبة من ينظر إلى ربه، لكمال علمهم بأن الله ينظر إليهم، ويرى حالهم، ويسمع مقالهم، فطرحوا النفوس بين يديه، وأقبلوا بكليتهم عليه، والتجأُوا منه إليه، وعاذُوا به منه، وأحبُّوه من كُلِّ قلوبهم، فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره، فبه يبصرون، وبه يسمعون، وبه يبطشون، وبه يمشون، وبرؤيتهم يُذكَر الله تعالى، وبذكره يُذكَرون.

ذكـروا اللـه -تعالـى- فذكرهم، وشـكروه فشـكرهم، وتولَّـوه ووالوا فيه فتولاهـم، وعادوا أعـداءه لأجله، فآذن بالحـرب مـن عاداهـم، وأحسـنوا عبـادة ربهـم فأحسـن جزاءهـم وأجزلـه، عبدوه علـى قدر معرفتهم بـه فجازاهم بفضلـه: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الآيـة [الرعـد: ١٨]، وزادهـم ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونـس: ٢٦]، والحسـنى التي وعـد الله -تعالى- المحسـنين هي الجنة، وأما الزيادة فهي النظـر إلى وجه الله -عز وجل- كما رواه مسلم[1] عن صهيب عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

فلمـا كانوا يعبدون الله -عز وجل- في الدنيا على وجه الحضـور والمراقبة كأنهم يرونه بقلوبهم، وينظرون إليه في حـال عبادتهم إياه، كان جزاءهم علـى ذلك النظرُ إلى وجه الله -عز وجل- في الآخرة عِيانًا بأبصارهم.

(١) في «صحيحه» (١/ ٢٩٧، ٢٩٨)، ص (١٦٣).

وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فقال تعالى فيهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، لما كان حالهم في الدنيا التكذيب، وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الرَّان على قلوبهم حتى حُجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاءهم على ذلك أن حُجبوا عن رؤيته في الآخرة، وذلك قول الله -عز وجل-: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ الآية [النجم: ٣١].

كيف يُكتَسَبُ الحياء؟

لـو كانـت الأخلاق صفـاتٍ لازمـةً تُخلق في الإنسـان ويُطبع عليهـا، فلا يمكنه تغييرهـا ولا تبديلها ولا تعديلها؛ كسـائر صفاته الجسـدية مـن طول وقِصَـرٍ ولـون؛ لما أمر الشـرع بالتخلق بالأخلاق الحسـنة، والتخلي عن القبيحة، فلو لم يكن ذلك ممكنًا مقدورًا للإنسـان لما ورد به الشرع؛ لأنه «لا تكليف إلا بمقدور» و«لا تكليف بمسـتحيل»، قال اللـه تعالـى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشـمس: ٩، ١٠] [(١)]، وقـال -صلـى اللـه عليه وسـلم-: «**إنما العلـم بالتعلُّم، والحِلْـم بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخيـرَ يُعْطَه، ومن يتوقَّ الشـرَّ يُوَقَّه**» [(٢)]، لكن الناس يتفاوتون في مقدار أهليتهم

(١) ولم يقل -عز وجل-: «قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها»، إشارة إلى أن المقصود بالعلم هو: تزكية الأفعال بمباشرة الأعمال المحققة لزكاة النفس وتطهيرها، وليس مجرد العلم النظري.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٩/ ١٢٧)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٣٤٢).

وقدرتهم واستعدادهم لاكتساب الأخلاق أو تعديلها، فمن جُبِلَ على خُلُقٍ معينٍ يسهل عليه ترسيخ هذا الخلق في نفسه؛ لأن فطرته تعينه عليه .

وفيما يتعلق بخلق الحياء فقد قدمنا أن منه جِبليًّا ومنه كسبيًّا، وهاك بعض الوسائل التي تعين على اكتساب الحياء وترسيخه:

أولًا: الإمساك عما تقتضيه قلة الحياء من أفعال وأقوال، كالكلام الفاحش والبذيء، مراغمةً وإغاظةً للشيطان الذي يزين هذه الأفعال، ويغري بها، فإن هذا يؤيسه من التحريض عليها، فيخنس ويخزي.

ومن الأدب القرآني في هذا التكنية وعدم التصريح بالألفاظ التي تخدش الحياء إلا فيما لا بد منه لمصلحة شرعية.

ثانيًا: إدمان مطالعة فضائل الحياء، وترديدها على القلب، وجمع الهمة على تحصيل أعلى درجات الحياء، والسعي الحثيث في التحلي به.

ثالثًا: تقوية الإيمان والعقيدة في القلب؛ لأن الحياء ثمرة الإيمان، ومعرفةِ الله -عز وجل-.

رابعًا: التعبد بالتفكر في أسماء الله الحسنى التي تستوجب المراقبة والإحسان، كأسمائه: الشهيد، والرقيب، والعليم، والسميع، والبصير، والمحيط، والحفيظ، قال حاتم الأصم: «تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملتَ فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمتَ فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ فاذكر علم الله فيك».

خامسًا: المواظبة على العبادات المفروضة والمندوبة؛ كالصلاة التي قال -تعالى- في شأنها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٥]، وقد قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن فلانًا يصلي

الليل كله، فإذا أصبح سرق!»، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «**سينهاه ما تقول**» أو قال: «**ستمنعه صلاته**»[1].

وكالزكاة التي قال سبحانه فيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ الآية [التوبة: ١٠٣].

سادسًا: لزوم الصدق وتحريه، وتجنب الكذب؛ لأن الصدق يهدي إلى البر، قال -صلى الله عليه وسلم-: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البِرِّ، وإن البر يهدي إلى الجنة**»[2] الحديث، والحياء من جملة البر.

سابعًا: المواظبة على تكلف الحياء مرة بعد مرة حتى تألفه النفس، وتعتاده، ويصير لها طبعًا وسجية، وهذا

---

(١) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الإمام أحمد (٢/ ٤٤٧)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ ٤٣٠)، وغيرهم، وصححه ابن حبان (٦٣٩ - موارد)، وقال في «المجمع»: «رواه أحمد، والبزار، ورجاله رجال الصحيح» (٢/ ٢٥٨).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٨٦)، ومسلم رقم (٢٦٠٦) وغيرهما.

يستلزم التجمل بالصبر، كالمريض الذي يصبر على تعاطي الدواء المر.

ثامنًا: مخالطة الصالحين، ورؤيتهم، والسماع منهم، والاستمداد من حيائهم.

قال بعضهم: «أحي حياءك بمجالسة مَن يُستحيا منه».

وقال مجاهد: «لو أن المسلم لم يُصِبْ من أخيه إلا أن حياءه منه يمنعه من المعاصي؛ لكفاه» [1].

تاسعًا: استحضار حياء المثل الأعلى للبشرية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومطالعة سيرته العطرة، وشمائله الكريمة، ثم استحضار حياء صحابته -رضي الله عنهم- وسيرتهم لا سيما الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين بالجنة، وأصحاب بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، وسائر المهاجرين والأنصار، ثم من تبعهم من أهل العلم والإيمان.

---

(١) «مكارم الأخلاق» ص (٨٤).

عاشـرًا: اعتـزال البيئـة الفاسـدة والموبـوءة التـي تصد عـن الخُلُق الحسـن [1]، والتنزه عن معاشـرة قليلي الحياء، والتحول إلى الصحبة الصالحة، وفي حديث قاتل المائة أن العالـم قـال له: «**... ومن يحـول بينك وبين التوبـة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناسًـا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء...**» [2] الحديث.

وهذا آخر ما تيسـر جمعه في هذا الباب، تبصرة وذكرى لأولـي الألباب، ونسـتغفر الله -عز وجل- مـن كل ما زلَّ

(١) وبخاصة أجهزة الفساد السمعية منها والبصرية التي تنسف الحياء نسفًا، وتدمره تدميرًا، وقد كتب بعضهم شعرًا على لسانها، فقال:

هـل تـعـلـمـون مـن أنـا ... أنـا مـصـدِّرُ الـخـنـا
أنـا الـذي يـصـور الـ ... ـخـبـث بـصـورة الـسَّـنـا
أنـا الـذي بـداركـم ... يـشـرح أسـرار الـزنـا
أنـا عـدوٌ لـلـبـقـاء ... أنـا صـديـق لـلـفَـنـا
أنـا عـدو داركـم ... أنـا مـقـوِّض الـبِـنـا
أمـنـيـتـي سـامـيـة ... تـفـوق فـي الـدنـيـا الـمـنـى
أمـنـيـتـي تـحـطـيـم كـل ... خـيـرٍ يـمـلأ الـدُّنـا

وانظر: كتاب «الإجهاز على التلفاز» للمؤلف.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٥١٢) (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

بـه القدم، أو طغى به القلم، ونسـتغفره مـن أقاويلنا التي لا توافـق أعمالنا، ونسـتغفره من كل ما ادعينـاه وأظهرناه من العلـم بباب الحياء مـع التقصير فيه، ونسـأله أن يجعلنا بما علمناه عاملين، ولوجهه به مريدين، وألا يجعله وبالًا علينا، وأن يضعـه في ميزان الصالحـات إذا رُدَّتْ أعمالنا إلينا، إنه جواد كريم.

اللَّهـم إنـا نحـب طاعتـك؛ وإن قصَّرنـا فيهـا، ونكـره معصيتـك؛ وإن ركبناهـا، فتفضـل علينـا بالجنـة؛ وإن لـم نسـتحقها، وخَلِّصْنا مـن النار؛ وإن اسـتوجبناها، فيا من لا تضـره الذنوب، ولا تنقصه المغفـرة، هب لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك.

يا ربِّ إن عَظُمَـتْ ذنوبي كثرةً ... فلقد علمتُ بـأن عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجوك إلا محسـنٌ ... فمن الذي يدعو ويرجو المجرِمُ

أدعوك يا ربِّ كما أمرتَ تضرعًا ... فـإذا رُدِدْتُ فـمـن ذا يـرحـم

ما لـي إليـك وسـيلةٌ إلا الرجا ... وجميـلُ عفـوِكَ ثم إني مُسْـلِمُ

اللهـم صلِّ على محمـدٍ عبدِك ورسـولِك النبي الأمي، وعلى آل محمدٍ وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيـم فـي العالمين، إنك حميد مجيـد، والحمد لله رب العالمين.

الإسكندرية في
الأحد ٨ من ربيع الأول ١٤١٣هـ
الموافق ٦ من سبتمبر ١٩٩٢م

وكان الفراغ من مراجعته وتنقيحه في
الخميس العاشر من المحرم ١٤٢٧هـ
الموافق ٩ من فبراير ٢٠٠٦م

ملحق

مُنَاجَاةُ المُحْسِنِينَ

فِي الخَلَوات

ملحق

مناجاة المحسنين في الخلوات

إن كثيـرًا مـن الناس قـد تنقدح في نفسـه المعاني، لكن تقصـر عبارته عن الإفصـاح عنها، فإذا وقـف على من فُتح عليه في هذا الباب، وصادف عنده جُرحَ قلبه ومعاناة نفسه؛ انتفع بها.

كما أن من اعتـاد مناجاة ربه -عزَّ وجلّ- في الخلوات، ذاق مـن حلاوة المعرفة ولذَّة المناجاة ما تتصاغر معه الدنيا بما فيها، حتى قال بعضهم:

«إنـه ليكون لي إلـى الله حاجة؛ فأدعـوه، فيفتح لي من لذيـذ معرفتـه، وحلاوة مناجاتـه ما لا أحب معـه أن يُعَجِّلَ قضـاءَ حاجتـي خَشـيةَ أن تنصرف نفسـي عـن ذلك ؛ لأن النفس لا تريد إلا حظَّها، فإذا قُضِي انصرفت» [1].

(١) انظر: «مجموع الفتاوي» (١٠/ ٣٣٤)، (٢٢/ ٣٨٥).

ولا شكَّ أن الثناءَ على الله -عزَّ وجلَّ- ودعاءه بما صحَّ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو الأفضل مطلقًا والأحسن والأسلم، لكن يبقى دعاء الصالحين في دائرة المباح بشرط سلامته من التكلف والتعدي ومخالفة العقيدة الصحيحة، قال النووي -رحمه الله تعالى- في شرح قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «**ثم يتخير من المسألة** - وفي لفظ: **من الدعاء - ما شاء**»، وفيه أنه يجوز الدعاء[1] بما شاء من أمور الآخرة والدنيا، ما لم يكن إثمًا، وهذا هو مذهبنا ومذهب الجمهور، وقال أبو حنيفة -رحمه الله تعالى-: «لا يجوز إلا بالدعوات الواردة في القرآن والسُّنَّة»[2].

ولا شكَّ أن باب الدعاء توقيفي لا ينبغي الخروج فيه عَمَّا رسمه الشارع في الجملة، والمقصود بالدعاء هنا:

(١) أي: بعد التشهد، وقبل السلام، وانظر: «البداية والنهاية»، (١١/ ٢٥٨، ٢٥٩).

(٢) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٤/ ١١٧).

الأدعيـة الرَّاتبـة التـي تتكـرر، ويلازمها المكلـف، أو التي تختص بوقتٍ معين، أو وظيفة معينة، أو صفة معينة.

أمـا مطلـق الأدعيـة التـي تحصل مـن المكلـف بدون تحرٍّ وملازمة؛ فهي ليسـت توقيفية، لكـن الأفضل الالتزام بالمأثور، وإلا فقد استبدل الداعي الذي هو أدنى بالذي هو خير.

قال شـيخ الإسـلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-:

«الأذكار والدعـوات مـن أفضل العبـادات، والعبادات مبناها على الاتباع، وليس لأحد أن يسنَّ منها غير المسنون، ويجعلَـه عادة راتبة يواظب الناسُ عليها، بل هذا ابتداعُ دينٍ لـم يأذن به اللـه، بخلاف ما يدعو به المرء أحيانًا من غير أن يجعله سُنَّة» [1].

(١) «ملحق مصنفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب» ص (٤٦).

فشـرط التعامل مع هـذه المناجاة: أن تُقـرأ بصفةٍ عابرة دون أن يواظِبَ عليها، ويجعلها شـعاره وديدنَه كأنها سـنة، وألا ينشغل بها عن دعوات القرآن الكريم، والسُّنَّة الشريفة، والحمد لله رب العالمين.

- بسـم الله الرحمن الرحيم، لا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إياك نعبد، وإياك نستعين.

- الحمد لله، اللهم ربنا لك الحمدُ بما خلقتَنا، ورزقتَنا، وهديتَنا، وعلَّمتنا، وأنقذتنا، وفرَّجْتَ عنا.

- لـك الحمدُ بالإيمـان، ولك الحمد بالإسـلام، ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة.

- كَبَتَّ عدُوَّنا، وبسطتَ رزقَنا، وأظهرتَ أمنَنا، وجمعتَ فُرْقَتَنا، وأحسـنتَ معافاتَنا، ومن كل ما سألناك ربَّنا أعطيتَنا، فلك الحمد على ذلك حمدًا كثيرًا.

- لـك الحمـد بكل نعمة أنعمـتَ بها علينا فـي قديمٍ أو حديـث، أو سِـرٍّ أو علانيـة، أو خاصـةٍ أو عامـة، أو حيٍّ أو ميت، أو شاهدٍ أو غائب.

- لـك الحمـد حتى ترضى، ولـك الحمـد إذا رَضِيتَ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّمَ.

- اللهـم فاطـرَ السـمواتِ والأرض، عالـمَ الغيـبِ والشـهادة، يا ذا الجلال والإكرام، إنـي أعهدُ إليك في هذه الحياةِ الدنيا، وأُشْـهِدُكَ - وكفى بك شهيدًا - أني أشهد أن لا إلـه إلا أنـت وحدك، لا شـريك لك، وأن محمـدًا عبدُك ورسـولك، وأشـهد أن وعدَك حـق، ولقاءك حـق، والجنةَ حق، والنارَ حق، وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنك تبعثُ مَن في القبور، فإنك إن تَكِلْني إلى نفسي تَكِلْني إلى ضعفٍ وعورةٍ، وذنـبٍ وخطيئةٍ، وإني لا أثـق إلا بِرَحْمَتِكَ، فاغفر لي ذنوبي كلَّها، وتُبْ عَلَيَّ إنك أنت التوَّاب الرحيم.

لـك الـحـمـدُ كـم مـن كُـرْبَـةٍ قـد كشفتَها
بـنـورٍ مـن الـلـطـفِ الـخَـفِـيِّ تَـجـلَّـتِ
لكَ الحمدُ فاكشِف كربةَ الحشرِ إن دَجَتْ[1]
بـنـورٍ مـن الـغـفـرانِ والـرحـمـةِ الـتـي

- اللَّهم صلِّ على محمدٍ عبدِك ورسولِك النَّبيِّ الأمي، وعلى آل محمدٍ وأزواجهِ وذريته، كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ، وبارك على محمدٍ، وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركتَ على إبراهيمَ، وعلى آل إبراهيمَ في العالمين، إنك حميدٌ مجيدٌ.

- يا ذا الجلال والإكرام اجعل لي من كلِّ همٍّ أمسيتُ فيه فرجًا ومخرَجًا، اللَّهم إن عفوَك عن ذنوبي، وتجاوزَك عن خطيئتي، وسَترَك عن قبيح عملي، أطمعَني أن أسألك ما لا أستحقه بما قصرتُ فيه، أدعوك آمنًا، وأسألك مستأنسًا، وإنكَ لَمُحْسِنٌ إليَّ، وإني لَمسيءٌ إلى نفسي فيما بيني وبينك، تتودد إليَّ، وأتبغَّضُ إليك، ولكن الثقة بك حملتني

(١) دَجَا: تَمَّ واكتمل.

علـى الجراءة عليـك، فَجُدْ بفضلِك وإحسـانِك عَلَيَّ، إنك أنت التواب الرحيم.

غريـبٌ علـى بـاب الرجـاءِ طريـحُ
يـنـاديـك مـوصـولَ الـجـوى ويـنـوحُ
يهـونُ عـذابُ الجسـمِ والروحُ سـالمٌ
فـكـيـف وروحٌ الـمـسـتـهـام جُـــروحُ

- اللَّهم إني أسألك بعزك مع ذُلِّي إلا رَحِمتني، وأسألك بقوتـك مع ضَعْفي، وبغَنائك مع فقـري إليك، هذه ناصيتي الكاذبـةُ الخاطئـةُ بين يديـك، لا ملجأ ولا مَنْجَـى مِنك إلا إليك، أسألك مسألةَ المسكين، وأبتهلُ إليك ابتهالَ الخاضعِ الذليل، وأدعوك دعاءَ الخائفِ الضرير، سؤالَ مَن خضعَتْ لك رقبتُه، ورغِمَ لك أنفُه، وفاضت لك عينُه، وذَلَّ لك قلبُه.

لبسـتُ ثوبَ الرجا والناسُ قد رقدوا
وقـمـتُ أشـكـو إلـى مـولاي مـا أجـدُ
وقلـتُ: يـا عُدَّتـي فـي كـل نائبـةٍ
ومَـنْ عليـه لكشـف الـضُّـرِّ أعـتـمـدُ

وقد مددتُ يدي والضرُّ مشتمل

إليك يا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إليه يَدُ

فلا تَرُدَّنَّها يا ربِّ خائبة

فبحر جُودِك يَروي كلَّ مَن يَرِدُ

- تم نورُك فهديتَ، فلك الحمد، عَظُم حِلمُك فغفرتَ، فلك الحمد، بسطتَ يدك فأعطيتَ، فلك الحمد، ربَّنا وجهُك أكرمُ الوجوه، وجاهُك أعظمُ الجاهِ، وعطيتُك أفضلُ العطيةِ وأهناها، تُطاعُ ربَّنا فتَشْكُر، وتُعْصَى فتغفر، وتجيبُ المضطر، وتكشفُ الضُّرَّ، وتَشفي السقيم، وتغفر الذنب، وتقبل التوبة، ولا يُجْزِي بآلائك أحد، ولا يبلغ مِدْحَتَكَ قولُ قائل.

- يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة، ولا يهتك السِّتْرَ، يا حَسَنَ التجاوز، يا واسعَ المغفرة، يا باسطَ اليدين بالرحمة، يا صاحبَ كُلِّ نجوى، يا منتهى كُلِّ شكوى، يا كريمَ الصفح، يا عظيم المَنِّ، يا مبتدئًا

بالنِّعَمِ قبلَ استحقاقها، يا ربنا ويا سيدَنا ويا مولانا ويا غايةَ رَغبتِنا، أسألك يا أللهُ أن لا تَشْوِيَ خَلْقي بالنار.

- إلهي ما أكرمك! إن كانت الطاعات؛ فأنت اليومَ تبذلها، وغدًا تقبلها، وإن كانت الذنوب؛ فأنت اليوم تسترها، وغدًا تغفرها، فنحن من الطاعات بين عطيتك وقَبولك، ومن الذنوب بين سَترك ومغفرتِك.

- يا ربَّ النار ما لنا قوةٌ على النار، ولا طاقةَ لنا بغضب الجبار.

الأمانَ الأمانَ وِزْري ثقيل وذنوبي إذا عُدِدْنَ تطول
أَوْبَقَتْني وأوثقتني ذنوبي فترى لي إلى الخلاص سبيل

- اللَّهم أنت أحقُّ مَن ذُكِر، وأحقُّ مَن عُبد، وأعظمُ من ابْتُغِيَ، وأرْأفُ مَنْ مَلَك، وأجودُ من سُئِل، وأوسعُ مَن أعْطَى، أنت الملك لا شريك لك، والفردُ لا نِدَّ لك، كل شيء هالك إلا وجَهك، لن تُطاع إلا بإذنك، ولن تُعْصَى إلا بعلمك، تُطاع فتَشْكُر، وتُعْصَى فتغفِر، أقربُ شهيد، وأدنى

حفيـظ، حُلْـتَ دون النفوس، وأخـذتَ بالنواصي، وكتبتَ الآثار، ونسختَ الآجال، القلوبُ لك مُفضِية، والسِّرُّ عندك علانية، الحلال ما أحللـتَ، والحرام ما حَرَّمتَ، والدِّينُ ما شـرَّعت، والأمر ما قضيت، الخلـقُ خلقُك، والعبدُ عبدك، وأنت الرءوف الرحيم.

- اللَّهم لك الحمدُ كلُّه، لا قابضَ لما بسطتَ، ولا باسط لما قبضتَ، ولا هاديَ لِمن أضللتَ، ولا مُضِلَّ لمن هديتَ، ولا معطـيَ لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مُقرِّبَ لما باعدت، ولا مباعدَ لما قَرَّبْتَ، اللَّهم ابسطْ علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللَّهم إني أسألك النعيمَ المقيمَ الـذي لا يحـولُ ولا يـزول، اللَّهم إنـي أسـألك الأمنَ يوم الخوف، اللَّهم إني عائِذٌ بك من شـر ما أعطيتنا، ومن شر ما منعتنا، اللَّهم حَبِّبْ إلينا الإيمان، وزَيِّنه في قلوبنا، وكَرِّه إلينا الكفرَ والفسـوقَ والعصيان، واجعلنا من الراشـدين، اللَّهم توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غيرَ خزايا ولا مفتونين،

اللَّهـم قاتـل الكفـرة الذين يُكذِّبـون رُسُـلَكَ ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رِجْزَكَ وعذابَكَ إلهَ الحق.

- يا قديمَ الإحسـان، يا مَن إحسـانُهُ فوقَ كلِّ إحسان، يا مالكَ الدنيا والآخرة، يا حيُّ يا قيوم، يا ذا الجلالِ والإكرام، يا من لا يُعْجِزُه شـيء، ولا يتعاظمه، أسألك العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرة.

- عفوَكَ يَا عفُوُّ عفوَكَ، في المحيا عفوَك، وفي المماتِ عفوَك، وفي القبور عفوَك، وعند النشور عفوَك، وعند تطاير الصحف عفوَك، وعند ممـرِّ الصراطِ عفوَك، وعند الميزان عفوَك، وفي جميع الأحوال عَفْوَكَ يا عَفوُّ عفوَك.

يـا ربِّ عـبـدك قـد أتـاك ... وقـد أسـاء وقـد هـفـا
يـكـفـيـه مـنـك حـيـاؤه ... مِـن سـوء مـا قـد أسـلـفـا
وقـد اسـتـجـار بـذيـل عـفـ ... ـوِكَ مِـن عـقـابـك مُـذْ جفا
ربِّ اعـفُ عـنـه وعـافِـهِ ... فـلأَنـتَ أولـى مَـن عـفـا

- إلهي أَخْلَقَتِ الوجُوهَ عندك كثرةُ الذنوبِ ومساوي الأعمال، يا من لا يعرفُ عبادُه منه إلا الجميلَ، أنت تعلم السرَّ وأخفى، اللَّهم أغثنا وتب علينا.

كان لي قلبٌ أعيشُ به ... ضاعَ مني في تَقَلُّبِه
ربِّ فاردُدْه عليَّ فقد ... ضاق صدري في تَطَلُّبِه
وأغِثْ ما دام بي رَمَقٌ ... يا غِياثَ المستغيثِ به

- اللَّهم إن استغفاري مع إصراري لَلُؤم، وإن تركي استغفارَك مع علمي بسَعةِ عفوِك لَعَجْز، فكم تتقربُ إليَّ بالنعم مع غِناك عني! وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك! يا من إذا وَعَدَ وَفَى، وإذا أوعد فإن شاء بفضله عفا، أَدخِل عظيمَ جُرْمي في عظيمِ عفوك يا أرحمَ الراحمين.

لِمَ لا نُرَجِّي العفوَ مِن ربِّنا ... وكيف لا نطمعُ في حِلْمِه
وفي الصحيحين أتى أنه ... بعبدِه أرحمُ مِن أُمِّه

- اللَّهم إن تغفر لي، فأنت أهلُ ذاك، وإن تعذبني، فأنا أهلُ ذاك.

- اللَّهـم مغفرتُـك أوسـعُ من ذنوبـي، ورحمتُك أرجى عندي من عملي.

أسـيرُ الخطايـا عنـد بابـكَ واقـفُ
عـلـى وَجَـــلٍ مـمـا بـه أنـت عـارفُ
يخـافُ ذنوبًـا لم يَغِـبْ عنـك غَيْبُها
ويـرجـوكَ فيـها فَـهْـوَ راجٍ وخـائـفُ
ومَـن ذا الـذي يَرجـو سِـواكَ ويتَّقي
ومـالَكَ في فَصْلِ القضاءِ مُخالِفُ
فيا سيدي! لا تُخْزني في صحيفتي
إذا نُشِرتْ يومَ الحسابِ الصحائفُ
وكن مؤنسي في ظلمةِ القبر عندما
يَصُدُّ ذَوُو القُربى ويَجْفُو الموالفُ
لئن ضاق عني عفوُك الواسـعُ الذي
أُرَجِّـــي لإسـرافـي فـإنـي لَـتـالِـفُ

- اللَّهـم إنـي أعـوذ بك أن تُحسِّـنَ فـي لوائـح العيونِ علانيتـي، وتُقَبِّـحَ في خَفِيَّـاتِ العيونِ سـريرتي، اللَّهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليَّ، فإذا عُدْتُ؛ فَعُدْ عَليَّ.

أنا مذنبٌ أنا مخطئ أنا عاصي هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتُهن ثلاثة بثلاثة ولَتَغْلِبَنْ أوصافُه أوصافي

- يا ربِّ أنت أنت، وأنا أنا، أنا العوَّادُ إلى الذنب، وأنت العوَّادُ إلى المغفرة .

أيَّ شيء تريدُ مني الذنوبُ شُغِفَتْ بي فليس عني تغيب
ما يضر الذنوبَ لو أعتقتني رحمةً لي فقد علاني المشيب

يا ربِّ إن العبد يُخفِي ذنبَه فاستر بحِلمك ما بدا من عيبه
ولقد أتاكَ وما له مِن شافع لذنوبه فاقبلْ شفاعةَ شيبه

إن الملوكَ إذا شابتْ عبيدهمُ في رِقهم عتقوهم عِتْقَ أبرارِ
وأنت يا سيدي أولى بذا كرمًا قد شِبتُ في الرق فاعتقني من النارِ

- اللَّهم دَبِّرْ لنا، فإنا لا نُحْسِنُ التدبير.

- اللَّهم استُرني فوق الأرض، وارحمني تحت الأرض، ولا تُخزِني يومَ العرض.

فيا ربِّ كن لي مُؤنِسًا يومَ وَحْشَتي

فإني لِما أنزلتَهُ لَمُصَدِّقُ

وما ضَرَّني أني إلى اللهِ صائرٌ

ومَن هو مِن أهلي أَبَرُّ وأشفقُ

- إلهي خيرُك إلَيَّ نازل، وشَرِّي إليك صاعدٌ، وكم من مَلَكٍ كريم قد صعِد إليك مني بعملٍ قبيح! أنت مع غناك عني تتحببُ إليَّ بالنعم، وأنا مع فقري إليك وفاقتي أَتَمَقَّتُ إليك بالمعاصي، وأنت في ذلك تجبرني، وتسترني، وترزقني.

إلهي لك الحمدُ الذي أنتَ أهلُه

على نِعَمٍ ما كنتُ قَطُّ لها أَهْلا

إن ازددتُ تقصيرًا تزدني تفضلا

كأنَّ بالتقصير أستوجِبُ الفَضْلا

- يا محسنًا إليَّ قبلَ أن أطلب، لا تُخَيِّبْ أملي فيك وأنا أطلب.

- اللَّهم ما مننتَ به فَتَمِّمْهُ، وما أنعمتَ به فلا تَسلُبْهُ، وما سترتَه فلا تَهتِكْهُ، وما عَلِمْتَه فاغفِرْه.

قَدَّمتُ بين يَدَيَّ نفسًا أذْنَبَتْ وأتيتُ بين الخوفِ والإقرارِ
وجعلتُ أسترُ عن سِواكَ ذنوبَها حتى عَيِيتُ فَمُنَّ لي بسِتارِ

- اللَّهم استرنا بِسِتْرِكَ الجميل، واجعل تحت السِّتْرِ ما ترضى به عنا.

- اللَّهم إن لم أكن أهْلًا أن أبلغَ رحمتَك، فإن رحمتَك أهلٌ أن تبلُغَني؛ رحمتُك وسِعَتْ كلَّ شيء، وأنا شيء، فَلْتَسَعْني رحمتُك يا أرحمَ الراحمين، وتُبْ عليَّ لأتوب.

يا نفسُ ما هذا الأسى والكَدَرْ قد وقع الإثمُ وضاعَ الحَذَرْ
هل ذاقَ حُلْوَ العفوِ إلا الذي أذنبَ، واللهُ عفا واغتفرْ

- اللهم إنك خلقتَ قومًا فأطاعوك فيما أمرتَهم، وعمِلوا في الذي خلقتَهم له، فرحمتُك إياهم كانت قبل طاعِتهم لك يا أرحمَ الراحمين.

وإني لأرجو اللهَ حتى كأنني أرى بجميلِ الظنِّ ما اللهُ صانِعُ

- اللَّهُـمَّ يـا ربَّ كلِّ شـيء، أسـألك بقدرتـك على كلِّ شيء، أن تغفرَ لي كلَّ شيء، حتى لا تسألَني عن شيء.

إنْ جَلَّ ذنبي عن الغُفْرانِ لي أملٌ في الله يجعلني في خير مُعْتَصَمِ

- اللَّهـم إن لي ذنوبًا فيما بينـي وبينك، وذنوبًا فيما بيني وبيـن خَلْقِكَ، اللَّهم ما كان لك منهـا فاغفِرْه، وما كان منها لخلقِكَ فتحمَّلْه عني، وأغِثني بفضلِك إنك واسعُ المغفرة.

- أسـألك سـؤالَ مَـن اشـتدتْ فاقتُـهُ، وأَنزلَ بِـكَ عند الشدائدِ حاجَتَه، وعَظُمَ فيما عندك رغبتُه.

أيـا مَـن سَـناه اختفى وراءَ حـدودِ البَشَرْ

نَسِيتُك يومَ الصفا فلا تنسني في الكَدَر

أيا غافرًا راحمًا يرى ذُلَّ أمسي وغدي

مَعاذَكَ أن تنقِما وحِلْمُك ملءُ الأبدِ

مراعيك خُضْرُ المنى هي المشتهى سيِّدي

جِسمي ضناه العنا حَنانيكَ خُذْ بيدي

- إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتني من عقابك؛ فإنَّ حسنَ الظن قد أطمَعَني في ثوابك، فإن عفوتَ فمن أولى منك بذلك؟! وإن عذبتَ فمن أعدلُ منك هنالك؟!

أمولاي إني عبدٌ ضعيف أتيتك أرغبُ فيما لَدَيْك
أتيتُك أشكو مُصابَ الذنوب وهل يُشتكَى الضُّر إلا إليك
فمُنَّ بعفوِك يا سيدي فليس اعتمادي إلا عليك

- إلهي إن كنتَ لا ترحم إلا المجتهدين فمن للمقصِّرين؟! وإن كنت لا تقبل إلا المخلِصين فمن للمُخْلِطين؟! وإن كنت لا تكرمُ إلا المحسنين فمن للمسيئين؟!

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلتُ رجائي دون عفوك سُلَّما
تعاظَمَني ذنبي فلما قرنتُه
بعفوِك ربي كان عفوُكَ أعظما
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَزَلْ
تَجودُ وتعفو مِنَّةً وتكَرُّما

- إلهي إليك فررتُ بذنوبي، واعترفتُ بخطيئتي، فلا تجعلني من القانطين، ولا تُخْزني يوم الدين.

- اللَّهم إني أستغفرك لما أعطيتُ من نفسي، ثم لم أوفِّ لك به، وأستغفرك للنعم التي تقويتُ بها على معصيتك، وأستغفرك لكل خيرٍ أردتُ به وجهَك فخالطني فيه ما ليس لك.

أنالَكَ رِزْقَه لِتقومَ فيه بطاعته وتشكرَ بعضَ حَقِّهْ
فلم تشكرْ لنعمته ولكنْ قَوِيتَ على معاصيه برزقِهْ

- اللهم إني نصحتُ لِخَلْقك ظاهرًا، وغششتُ نفسي باطنًا، فهب لي غِشي نفسي لِنُصْحي لخلقك.

- اللَّهم ارزقني عينين هطَّالتين تَشْفيان القلبَ بذروف الدموع، قبل أن تكون الدموعُ دمًا، والأضراسُ جَمرًا.

- ربِّ قِني شُحَّ نفسي، ربِّ قِني شُحَّ نفسي.

- اللَّهم رضِّني بقضائك، وبارك لي في قَدَرك، حتى لا أحبَّ تعجيلَ شيءٍ أخَّرْتَه، ولا تأخيرَ شيءٍ عجَّلتَه.

- اللَّهم حسِّن أخلاقَنا، وابسُط أرزاقَنا.

- ربِّ ارحم في الدنيا غربتي، وفي القبر وِحدتي، وطولَ مقامي غدًا بين يديك.

- اجعل لي وُدًّا يا رحمنُ.

- اللَّهـم كم من قبيحٍ سـترتَه! وكم من فـادحٍ من البلاء أقَلْتَـه! وكم من عِثارٍ وَقَيْتَه! وكم من مكروهٍ دفعتَه! وكم من ثناءٍ جميل - لستُ أهلًا له - نَشَرتَه!

- يا ربِّ أستغفرك وأتوب إليك من مظالمَ كثيرةٍ لعبادِك قِبَلي، فأيُّما عبدٍ مـن عبادك كانت له قِبَلي مَظْلِمَةٌ ظلمتُه بها في بدنه، أو ماله، أو عِرضِه، وقد غاب، أو مات، ولا أستطيع ردَّها، أو تَحلُّلَها منه، فأرضِهِ عني بما شئتَ، ثم هَبْها لي من لدنك، فإن كرمَك يَسَعُ ذلك كلَّه.

- ربِّ كم نعمةٍ أنعمتَ بها عليَّ، قلَّ لك عندها شكري! وكم من بليـةٍ ابتليتَني بها، قلَّ لك عندها صبري، فيا مَن قَلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا مَنْ قلَّ عند بلائه صبري

فلم يخذلني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، يا ذا المعروف الذي لا ينقضي أبدًا، ويا ذا النعم التي لا تُحصَى عددًا، أسألك أن تصليَ على محمدٍ وآله كما صليتَ على إبراهيم، إنك حميد مجيد.

- آمنتُ باللهِ العظيمِ وحدَه، وكفرتُ بالجِبتِ والطاغوتِ، واستمسكتُ بالعروة الوثقى لا انفصامَ لها، والله سميع عليم.

إن لم أكن أخلصتُ في طاعتِكْ فإنني أطمعُ في رحمتِكْ

وإنما يشفعُ لي أنني قد عِشتُ لا أشركُ في وَحْدتِكْ

- اللَّهم إنا أطعناكَ في أحبِّ الأشياءِ إليك أن تطاعَ فيه: الإيمانِ بك والإقرارِ بك، ولم نَعْصِكَ في أبغض الأشياء أن تُعْصَى فيه: الكفرِ والجَحْد بك، اللَّهم فاغفْر لنَا ما بينهما، وأنت قلت: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، ونحن نُقسِمُ بالله جَهْدَ أيْمانِنا لَتَبْعَثنَّ مَن يموتُ، أَفَتراكَ تجمعُ بين أهلِ القَسَمَيْن في دارٍ واحدة؟!

يا رَبِّ إن عَظُمَتْ ذنوبي كَثْرةً فلقد عَلِمْتُ بأنَّ عفوَك أعظمُ
إن كان لا يرجوكَ إلا مُحْسِنٌ فمن الذي يدعو ويرجو المجرِمُ
أدعوك يا ربِّ كما أمرتَ تضرعًا فإذا رُدِدْتُ فمن ذا يَرْحَمُ
ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرجا وجميلُ عفوِكَ ثم إنِّيَ مُسْلِمُ

- اللَّهم لك الحمدُ كالذي نقول، وخيرٍ مما نقول، اللَّهم لك صلاتي ونُسُكي، ومَحيايَ ومماتي، وإليك مآلي ولك ربِّ تُراثي، اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ووسوسِة الصدر، وشَتاتِ الأمر، اللَّهم إني أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح.

- اللَّهم اغفر لي مغفرةً يَصْلُحُ بها شأني في الدارين، وارحمني رحمةً أسعدُ بها في الدارين، وتُبْ عَلَيَّ توبة نصوحًا لا أنكثها أبدًا، وألزِمني سبيلَ الاستقامةِ لا أزيغ عنها أبدًا، اللَّهم انقلني مِن ذُلِّ المعصية إلى عِزِّ الطاعة، وأغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عَمَّن سواك، ونوِّر قلبي وقبري، وأعِذني من الشر كلِّه، واجمع ليَ الخيْرَ كلَّه.

- اللَّهـم اجعلنـي صَبورًا، واجعلني شَـكورًا، واجعلني في عيني صغيرًا، وفي أعين الناس كبيرًا.

- اللَّهـم اجعلنـي أُعْظِـمُ شـكرَك، وأُكْثِرُ ذكـرك، وأتَّبعُ نُصْحَك، وأحفظُ وَصِيَّتَك.

- اللَّهـم طهِّـر قلبـي مـن النفـاق، وعملـي مـن الرياء، ولسـاني من الكذب، وعيني مـن الخيانة، فإنك تعلم خائنةَ الأعيُن وما تخفي الصدور.

- اللَّهـم اجعـل سـريرتي خيـرًا مـن علانيتـي، واجعل علانيتـي صالحـة، اللَّهـم إني أسـألك من صالحِ مـا تؤتي الناسَ من الأهل والمال والولد غيرِ الضالِّ والمُضِلِّ .

- اللَّهم لك الحمدُ حمدًا يوافي نِعَمَكَ، ويكافئُ مَزِيدَك، أحمدُك بجميع محامدك، ما علمتُ منها وما لم أعلم، وعلى كل حال، اللَّهم صلِّ وسلم على محمد وعلى آل محمد.

- اللَّهـم أعِذْني من الشـيطان الرجيـم، وأعذني من كل سـوءٍ، وَقَنِّعْنـي بمـا رزقتَني، وبـارِكْ لي فيه، اللَّهـم ألزمني سبيلَ الاستقامةِ حتى ألقاك يا ربَّ العالمين.

- اللَّهـم إنـا نُحِـبُّ طاعتَـك وإن قصَّرْنـا فيهـا، ونكرهُ معصيتَـكَ وإن رَكِبناهـا، فتفضَّـلْ علينـا بالجنـة وإن لـم نَسْتَحِقَّها، وخَلِّصْنا من النار وإن استوجبناها.

قُـرَّةَ عيني لا بُـدَّ لي منك وإن أَوْحَـشَ بيني وبينك الـزَّلَـلُ
قـرةَ عيني أنـا الغـريقُ فَخُذْ كَـفَّ غـريـقٍ عـليـك يَـتَّكِـلُ

- اللَّهـم إني أسـألك أن تباركَ لي في سـمعي وبصري، وفـي رزقـي وفي خُلُقي، وفـي أهلي وذريتـي، وفي مماتي ومحياي، وفي عملي، وأسألك الدرجاتِ العلا من الجنة.

- اللَّهـم ارحـم فـي دار الدنيـا غُربَتَنـا، وارحـم لنزول المـوت مصرعَنا، وآنِسْ في القبور وَحشـتَنا، وارحم بَسْـطَ أيدينـا، وفَغْرَ أفواهِنا، ومَنْشَـرَ وجوهِنـا، وارحم وقوفَنا بين يديك.

أصبحتُ بقَعْرِ حُفْرةٍ مُرْتَهنا لا أملكُ من دنياي إلا كَفَنا
يـا مـن وسِـعَـتْ عـبـادَه رحمتُه مِن بعضِ عبادكِ المسيئين أنا

نـزلـتُ بـجـارٍ لا يُـخَـيِّـب ضيفَهُ أُرَجِّـي نجاتي مِن عذابِ جهنَّمِ
وإني على خوفي من الله واثقٌ بـإنْـعـامِـهِ والـلـهُ أكـرمُ مُـنْـعِـمِ

يـا كثيـرَ العفـوِ عَمَّـن كَثُـرَ الذنـبُ لَدَيْـهْ
جـاءك المذنبُ يرجو الصفحَ عن جُـرْم يَدَيْه
أنـا ضـيـفٌ وجـــزاءُ الـضـيـفِ إحـسـانٌ إلـيـه

- يـا مـن لوجهـه عَنَـتِ الوجـوهُ، بَيِّضْ وجهـي بالنظر إليك، واملأ قلبـي من المحبة لك، وأجِرني من ذُلِّ التوبيخِ غـدًا عندك، فقد آن ليَ الحيـاءُ منك، وحان لي الرجوعُ عن الإعراض عنك، لولا حِلْمُك لم يَسَعْني أجلي، ولولا عفوُك لم ينبسط فيما عندك أملي.

وإنـي لأدعـو اللهَ أسـألُ عفـوَه وأعـلـم أن الله يـعـفـو ويـغـفـرُ

لئن أعظمَ الناسُ الذنوبَ فإنها وإن عظمت في رحمة الله تَصغُرُ

لا شيء أعظم من ذنبي سوى طمعي

في حُسْن عفوك عن جُرْمي وعن زللي

إن كنت أسرفتُ حينًا فاقبل توبتي كرمًا

وابـدُل بذنبي ثوابَ الخائـفِ الوَجِلِ

- إليك قطع العابدون دُجى الليالي يستَبِقُون إلى رحمتك وفضلِ مغفرتك، فبك يا إلهي أسألك لا بغيرك، أن تجعلني في أول زمرة السابقين، وأن ترفعَني لديك في عليين في درجة المقربين، وأن تُلْحِقَني بعبادِك الصالحين، فأنت أرحمُ الرحماء، وأعظمُ العظماء، وأكرمُ الكرماء يا كريم.

عـلـى عـيـنـي بَـكَـتْ عـيـنـي

عـلـى رُوحـي جَـنَـتْ رُوحـي

هـواك وبُـعْـدُ مـا بـيـنـي

وبـيـنَـك سِـرٌّ تـبـريـحـي

عـلـى عـيـنـي عـلـى روحـي
فـواغـوثـاه يـا غـوثـاه
ومـن طـول الـنـوى أواه

صـحـا مـن شَـدْوِه كـأسـي
وقـد نـام الـخَـلِـيُّـونـا[1]
فـكـيـف أفِـرُّ مـن نـفـسـي
إذا هـامَ الـمُـحِـبُّـونـا
عـلـى نـفـسـي جـنـت نـفـسـي
فـيـا ويـلاه يـا ويـلاه
ومـن طـول الـنـوى أواه

حـيـائـي مـنـك يُـبْـعِـدُنـي
وادعـي الـشـوقِ يـدعـونـي

(١) الخَلِيُّ: من الرجال: الفارغ البال من الهم.

ووجـــهُ الـصَّـفْـحِ يُـخـجِـلـنـي
وأيـــامـــي تُـقـاضـيـنـي
عـلـى مـا كـانَ يـا أسـفـاه
ومـــن طـــول الـــنـــوى أواه

خـــلـــوتُ إلـــيـــك يـــا ربـــي
وقـــلـــتُ عـــســـاك تـقـبـلـنـي
فـمـا بـالـي أرى ذنـبـي
وأيـــامـــي تـــطـــاردنـــي
مـــــــــــددتُ يـــــدي
فـــــخـــــذ بـــيـــدي
إلـــيـــك ومـــنـــك يـــا ربـــاه
ومـــن طـــول الـــنـــوى أواه

- إلهي ما أشوقَني إلى لقائك! وأعظمَ رجائي لجزائك! وأنـت الكريم الذي لا يَخيب لديك أملُ الآملين، ولا يَبْطلُ عندك شـوقُ المشتاقين، إلَهي إن كان دنا أجلي ولم يُقَرِّبْني

منـك عملي، فقد جَعلتُ الاعترافَ بالذنب وسـائلَ عِللي، فإن عفوتَ فمن أولى منك بذلك؟! وإن عَذَّبت فمن أعدلُ منك هنالك؟! إلهي قد جُرْتُ على نفسي في النظر لها، وبقي لها حُسْـنُ تدبيرِك، فالويل لها إن لم تُسْعِدْها، إلهي إنك لم تزل بي بَرًّا أيامَ حياتي، فلا تقطعْ عني بِرَّك بعد مماتي، ولقد رَجَوْتُ ممن تولاني في حياتي بإحسـانه، أن يُسـعفَني عند مماتي بغفرانه، إلهي كيف أيأس من إحسـانِك بعد مماتي، ولـم تُولِني إلا الجميلَ في حياتي، إلهي إن كانت ذنوبي قد أخافتنـي، فإن محبتي لـك قد أجارتني، فتـولَّ من أمري ما أنت أهلُه، وعُد بفضلِك على مَن غرَّه جهلُه.

- إلهي لو أردتَ إهانتي لما هديتني، ولو أردتَ فضيحتي لم تسـترني، فمتِّعْني بما له هديتَني، وأَدِمْ لي ما به سـترتَني، يـا أرحمَ الراحمين، يا رحمـنُ، يا رحيمُ، يا حليمُ، يا عظيمُ، يـا كريمُ، أنا المذنبُ المُصِرُّ، أنا الجـريءُ الذي لا أُقْلِع، أنا المتمادي الذي لا أسـتحيي، هذا مَقام المتضرعِ المسكين،

والبائسِ الفقيـر، والضعيـفِ الحقيـر، والهالـكِ الغريـق، فَعَجِّـل إغاثتي وفرجي، وأرنـي آثارَ رحمتِـك، وأذِقْني بَرْدَ عفوِك ومغفرتك، يا أرحم الراحمين.

مـددتُ يـدي إلـيـكَ فَـرُدَّهـا بالعفـوِ لا بشماتـةِ الحسَّـادِ

- اللَّهم إنك تسـمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتـي، ولا يخفى عليك شـيء من أمـري، وأنا البائسُ الفقيرُ، والمسـتغيثُ المسـتجيرُ، والوجِلُ المُشـفِقُ، المُقِرُّ المعترفُ إليك بذنبه، أسألك مسألةَ المسكين، وأبتهل إليك ابتهالَ المذنبِ الذليل، وأدعوك دعاءَ الخائفِ الضريرِ، دعاءَ مَن خَضَعَتْ لك رقبتُه، وذلَّ لك جسمُه، ورَغِمَ لك أنفُه.

يـا مَن يـرى ما في الضميرِ ويَسـمعُ
أنـت الـمُـعَـدُّ لـكـلِّ مـا يُـتَـوقَّـعُ
يـا مـن يُرَجَّـى فـي الشـدائِد كلِّها
يـا مـن إلـيـه المشتكى والـمَـفْـزَعُ
يـا مـن خزائـنُ رزقِـهِ في قـولِ كُنْ
امـنُـنْ فـإن الـخـيـرَ عـنـدك أجـمـعُ

مـا لـي سـوى فقـري إليـك وسـيلةٌ
فـبـالافـتـقـارِ إلـيـك فـقـريَ أدفـعُ
مـا لـي سـوى قرعـي لبابـك حيلـة
فـلـئـن رُدِدتُ فـأيَّ بـابٍ أقـرعُ
ومـن الـذي أدعـو وأهتِـفُ باسـمه
إن كـان فضلُك عن فقيرِك يُمنعُ
حاشـا لجـودِك أن تُقَنِّـطَ عاصيًـا
فـالـفضلُ أجـزلُ والـمـواهـبُ أوسـعُ

- إلهـي! إن كان صَغُـرَ فـي جَنْب طاعتِـك عملي، فقد كبُـر في جنب رجائك أملي، إلهي! كيـف أنقلبُ مِن عندك محرومًا، وقد كان حُسْنُ ظنِّي بك مَنُوطًا؟!

أسأتُ ولم أُحْسِنْ وجئتُك هاربًا وأيـن لعبدٍ من مواليه مَهْرَبُ
يُـؤَمِّـلُ غفـرانًـا فـإنْ خـاب ظنُّه فما أحدٌ منه على الأرضِ أخيبُ

إلـهـي لا تُـعَـذِّبْـنـي فـإنـي مُـقِـرٌّ بـالـذي قـد كـانَ مِنِّـي
فـمـا لـي حـيـلَـةٌ إلا رَجـائـي لِعَفوِكَ إن عَفَوتَ وَحُسنُ ظَنِّي

فكم مِن زَلَّةٍ لي في الخطايا وأَنتَ عَلَيَّ ذو فَضلٍ ومَنِّ
إذا فَكَّرتُ في قُدُمي عَلَيها عَضَضْتُ أَناملي وقَرَعتُ سِنِّي
يَظُنُّ الناسُ بي خَيرًا وَإِنِّي لَشرُّ النَّاسِ إن لَم تَعفُ عَنِّي
أُجَنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنيا جُنونًا وَأُفني العُمْرَ فيها بالتَّمَنِّي
وبين يَدَيَّ مُحْتَبَسٌ ثقيلٌ كأني قد دُعيتُ لَهُ كَأَنِّي
ولو أَنِّي صَدَقتُ الزُهدَ فِيها قَلَبْتُ لأهلِها ظَهْرَ المِجَنِّ

أتجزعُ مِ الموتِ هذا الجَزَعْ ورحمةُ ربِّك فيها الطَّمَعْ
ولو بذنوبِ الورى جِئْتَه فرحمتُه كلَّ شيءٍ تَسَعْ

– يا مَن كَتَب على نفسه الرحمةَ لعباده، إني من عبادك فارحمني يا أرحم الراحمين.

شوقي إليك مُجاوِزٌ وصفي وُدِّي وحُبي دونَ ما أُخْفِي
ما دار ذِكرٌ منك في خَلَدي إلا مَلأتُ بأدمعي طَرْفي

– لا إله إلا الله، نِعْمَ الربُّ ونعمَ الإله، أُحِبُّه وأخشاه.

فكَّرتُ في نار الجحيم وحَرِّها يا ويلتاه ولاتَ حينَ مناصِ
فدعوتُ ربي أن خير وسيلتي يومَ المعادِ شهادةُ الإخلاصِ

- ربِّ نهيتَني فأبيتُ، وأمرتَني فعصيتُ، ولكن: «لا إله إلا الله»، أشهد بهذه الكلمة شهادةً خالصة من صميم القلب، مع شطرها «محمد رسول الله»، والخير كله بيديك، والشر ليس إليك.

مهما تفكَّرْتُ في ذنوبي ... خِفْتُ على قلبي احتراقَهْ

لكنه ينطفي لهيبي ... بذِكرِ ما جاء في البطاقة (١)

(١) الإشارة إلى الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «إن الله سيُخَلِّصُ رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سِجِلًّا، كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مَدِّ البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئًا، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول : لا يا رب، فيقول: أفلك عُذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى! إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فَيُخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟!! فَيُقال: فإنك لا تُظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كِفَّة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء». رواه الإمام أحمد (٢/ ٢١٣، ٢٢١)، والترمذي (٥/ ٢٤، ٢٥) رقم (٢٦٣٩)، وحسَّنه، وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧) رقم (٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٦، ٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، ثم الألباني كما في «الصحيحة» رقم (١٣٥).

- يـا رب إن توحيدًا لم يعجز عن هـدم ما قبلَه من كفر، لا يعجز عن محو ما بعدَه من ذنب.

- اللَّهـم أدخلنـي الجنة بلا سـابقةِ عذابٍ، ولا مناقشـةِ حساب.

- اللَّهم لا تكِلْني إلى نفسي فأعجِزَ عنها، ولا تكلْني إلى المخلوقين فيضيِّعوني.

لِـغـيـرِكَ مـا مَـــدَدْتُ يَـدا وغـيـرُك لا يَـفـيـضُ نَـدى
ولـيـس يَـضِـيـقُ بـابُـك بي فـكـيـف تَـــرُدُّ مَـــن قَـصَـدا
وركـنُـك لـم يَـــزَلْ صَـمَـدا فـكـيـف تَـــذُودُ مَـــن وَرَدا
ولـطـفُـك يـا خَـفِـيَّ الـلُّـطْـفِ إذا عـــادى زمـــانـــي عـدا
عـلـى قـلـبـي وضـعـتُ يـدا ونـحـــوَكَ قَـد مـــددتُ يـدا
ســرى لـيـلـي بـغـيـر هـدى ولا أدري لأيِّ مـــــدى
يـطـاردنـي الأســـى أبـدا ويـرعـانـي الـجـوى أمـدا
ولـيـس ســواك لـي سَـنَـدٌ فـقـدتُ الأهـــلَ والـسَّـنَـدا

- اللَّهـم إني أسـألك فواتحَ الخيـرِ وخواتِمَه وجوامِعَه، وأولَه وآخِرَه، وظاهرَه وباطنَه، والدرجاتِ العُلى من الجنة.

- اللَّهـم إنـا نسـألك موجبـاتِ رحمتِـك، وعزائـمَ [1] مغفرتِك، والسلامةَ من كل إثم، والغنيمةَ من كل بِر، والفوزَ بالجنة، والنجاةَ من النار.

يـا رب قـد أسـرفَتْ نفسي وقـد عَلِمت
عـلـمًـا يـقـيـنًـا لـقـد أحـصـيـتَ آثـاري

يا مُخرِجَ الروحِ من نفسي إذا احتُضِرت
وفـارِجَ الـكـربِ زحـزحـنـي عـن الـنـارِ

- اللَّهـم لا تـدعْ لي ذنبًا إلا غفرتَـه، ولا همًّا إلا فرجتَه، ولا دَيْنًـا إلا قضيتَه، ولا حاجةً من حوائـج الدنيا والآخرة، هي لك رضًا إلا قضيتَها يا أرحم الراحمين.

- اللَّهم إني أسـألُك الثباتَ في الأمرِ، وأسألُك العزيمةَ على الرُّشـد، وأسـألُكَ شـكر نعمتِـك، وحُسْـنَ عبادتك، وأسألُك لسـانًا صادقًا، وقلبًا سـليمًا، وأعوذُ بك من شر ما

(١) جمع عزيمة، وهي عقد القلب على إمضاء الأمر، أي: نطلب منك أن ترزقنا العزائم منا على الطاعات التي نتوصل بها إلى مغفرتك.

تعلم، وأسـألك من خير ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب.

- اللَّهـم قَنِّعْني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخلُفْ عليَّ كلَّ غائبةٍ لي بخير [1].

- يـا من لا تضره الذنوب، ولا تُنْقِصُه المغفرةُ، اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا يُنقِصُك، إنك أنت الوهَّاب.

- يا إلهي أسـألك فرجًا قريبًا، ورزقًا واسـعًا، وأسـألك العافيـةَ من كل بلية، وأسـألك الشـكرَ علـى العافية، ودوامَ العافية، وأسـألك الغنـى عن الناس، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

إنـي إليـك مـع الأنفـاس مفتَقِـرٌ
يـا ربِّ فـي كـل مـا أرجـوه مـن حـاجِ
كـأنَّ جسـمي أغصـانُ العريـشِ لَـهُ
فـي كـلِّ مِفْصَلِ عُضوٍ كَفُّ محتاج

(١) أي: اجعل لي عِوَضًا حاضرًا عما غاب عليَّ وفات، أو لا أتمكن من إدراكه.

- إلهي أنا الذي كلمَّا طال عمري زادت ذنوبي، أنا الذي كلَّما هممتُ بترك خطيئةٍ عَرَضَتْ لي أخرى.

- وا ذنوباه! خطيئة لم تَبْلُ وصاحبُها في طلبِ أُخرى.

- واذنوباه! إن كانت النار لي مَقيلًا ومأوى.

- وا ذنوباه! إن كانت المقامعُ لرأسي تُهَيَّأ.

ذنوبي مِثلُ أعدادِ الرمالِ فهبْ لي توبةً يا ذا الجلالِ
وعمري ناقصٌ في كلِّ يومٍ وذنبي زائدٌ كيفَ احتمالي

- يا ربِّ وعِزَّتِك ما أردتُ بمعصيتك مخالفتَك، ولا عصيتُك إذ عصيتُك، وأنا بجلالك جاهل، ولا لعقوبتك مُتَعَرِّض، ولا لنظرِك مُسْتَخِفٌّ، ولكن سَوَّلَتْ لي نفسي، وأعانني على ذلك شِقوتي، وغَرَّني سِترُكَ المَرْخِيُّ عَليَّ، فعصيتُك بجهلي، وخالفتُك بفعلي، فَمِن عذابك الآن مَنْ يستنقِذُني؟ وبحبل مَنْ أعتصمُ إن قطعتَ حبلَكَ عَنِّي؟

اُعْفُ عَنِّي وأقِلْني عثرتي يا عَتادِي لِمُلِمَّاتِ الزمنْ
لا تعاقبني فقد عاقبني ندمٌ أقلقَ رُوحي والبَدَنْ

– وا سوأتاه من الوقوف بين يديك غدًا إذا قيل للمُخِفِّين: «جُوزوا»، وقيل للمُثْقِلين: «حُطوا»، أمع المُخِفِّينَ أجوز، أم مع المثقلين أحط؟

– وَيْلي كلَّما كَبُرَتْ سِنِّي كَثُرَتْ ذنوبي، ويلي كلَّما طال عمري كثرت معاصيَّ، فإلى متى أتوب؟ وإلى متى أعود؟!!

– أما آن لي أن أستحييَ من ربي؟!!

إلهي يا كثيرَ العفوِ عَفْوًا ... لما أسلفتُ في زمن الشبابِ

فقد سوَّدتُ في الآثام وجهًا ... ذليلًا خاضعًا لك في التراب

فَبيِّضْهُ بحُسْنِ العفوِ عني ... وسامحني وخَفِّفْ مِن عذابي

– إلهي، سائلٌ ببابك انقضت أيامه، وبقيت آثامه، وانقضت شهواته، وبقيت تبعاته، ولكلِّ ضيفٍ قِرى [1]، فاجعل قِرايَ الجنةَ.

أنوحُ على نفسي وأبكي خطيئةً ... تقودُ خطايا أثقَلَتْ منيَ الظهرا

فيا لذةً كانت قليلًا بقاؤها ... ويا حسرةً دامتْ ولم تُبْقِ لي عُذْرا

(١) يقال: قرى الضيفَ قِرًى وقَراءً: أضافه، وأكرمه.

- اللَّهـم مغفرتـكُ أوسـعُ من ذنوبـي، ورحمتك أرجى عندي من عملي.

قـد أنـاخَـتْ بـكَ رُوْحـي فـاجـعـلِ الـعـفـوَ قِـراهـا

فَـهْـيَ تـخـشـاك وتـرجـو كَ فـلا تـقـطـعْ رجـاهـا

- اللَّهـم اجعلني أخشـاك حتـى كأني أراك، وأسـعِدني بتقواك، ولا تجعلني بمعصيتك مطرودًا، ورَضِّني بقضائك، وبـارك لي في قدرك، وانصرني على من ظلمني، وأرني فيه ثأري، وأقِرَّ بذلك عيني.

- اللَّهم إني أسـتغفرك مما تُبْـتُ إليك منه ثم عدتُ فيه، وأسـتغفرك لمـا جعلتُـه لك على نفسـي فلـم أُوفِ لك به، وأسـتغفرك مما زعمتُ أني أردتُ به وجهَكَ، فخالط قلبي ما قد علمتَ.

- اللَّهم اجعل لساني بذكِرك لَهِجًا، وقلبي بحبك مُتيَّمًا، وَمُنَّ عليَّ بحُسْـن إجابتك، وأقِلْني عَثْرتَي، واغفر لي زَلتي، فإنك أمـرتَ عبادك بدعائك، وضَمِنْتَ لهم الإجابة، فإليك

يا ربِّ نصبتُ وجهي، ومددتُ يدي، فبرحمتك استجب دعائي، ولا تقطع رجائي، اللَّهم إني أبرأ إليك من حَوْلي وقوتي، وألجأ إلى حولك وقوتك، اللَّهم ألبسني العافيةَ حتى تُهَنِّيَني بالمعيشة، واختم لي بالمغفرة حتى لا تضرَّني الذنوب، واكفني كلَّ هَوْلٍ دون الجنة حتى تُبَلِّغَنيها، برحمتك يا أرحم الراحمين.

- اللَّهم أعطني من الدنيا ما تقيني به فتنتها، وتُغنيني به عن أهلها، ويكونُ بلاغًا لي إلى ما هو خيرٌ منها، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

- اللَّهم إني أسألك أن ترفعَ ذِكري، وتضعَ وِزري، وتطهرَ قلبي، وتُحصِّنَ فَرْجي، وتغفرَ لي ذنبي، وأسألك الدرجاتِ العُلى من الجنة.

- اللَّهم ما رزقتَني مما أُحب، فاجعله عونًا لي على ما تُحب، وما زويتَ عني مما أحب، فاجعله فراغًا لي فيما تحب.

- اللَّهم لا تحرمني خيرَ ما عندك بسوءِ ما عندي.

- اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو فاعفُ عني، وارزقني العافية في الدين والدنيا والآخرة، وما ذلك على الله بعزيز، يا أرحم الراحمين، يا لطيفُ يا لطيفُ، الطف بي بلطفك الخفي.

والعفو يُرجى من بني آدم فكيف لا يُرجَى من الربِّ
فإنه أرأفُ بي منهمُ حَسْبي به حسبي به حسبي

- اللَّهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقةَ نبيِّك محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- في أعلى جِنان الخلد، خائفٌ مستجيرٌ، تائبٌ مستغفرٌ، راغبٌ راهبٌ.

- أَلِّف اللَّهم على الخير قلوبَنا، وأصلِحْ ذاتَ بينِنا، واهدنا سُبُلَ السلام، ونجِّنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحشَ والفتن، ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا

إنك أنت التَّوَّابُ الرحيمُ، واجعلنا شاكرين لنعمتكَ، مُثْنِين بها، قابليها، وأتِمَّها علينَا.

- اللَّهم ما قلتُ من قول، أو حلفتُ من حَلِف، أو نذرتُ من نذر، فمشيئتُك بين يَدَيْ ذلك كلِّه، ما شئتَ كان، وما لم تشأْ لم يكن، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك.

- اللَّهم ما صَلَّيْتُ من صلاةٍ فعلى مَن صَلَّيْتَ، وما لعنتُ من لعنةٍ فعلى من لَعَنْتَ، أنتَ وَلِيِّي في الدنيا والآخرة، تَوَفَّني مسلمًا، وألحقني بالصالحين.

- اللَّهم إني أسألك صحةً في إيمان، وإيمانًا في حُسْن خلق، ونجاحًا يتبعه فلاحٌ، ورحمةً منك وعافيةً، ومغفرةً منك ورضوانًا.

- اللَّهم حَبِّبْ إليَّ الإيمانَ وزَيِّنْهُ في قلبي، وكَرِّهْ إليَّ الكفرَ والفسوقَ والعصيانَ، واجعلني من الراشدين.

- اللَّهم اصرفْ عني السوءَ والفحشاءَ، واجعلني من عبادكَ المخلَصين.

- اللَّهـم عَلِّمني ما ينفعني، وانفعني بما عَلَّمتني، وزدني علمًا.

- اللَّهـم يـا مُعَلِّمَ إبراهيـمَ عَلِّمنـي، ويا مُفَهِّمَ سـليمانَ فَهِّمْني.

- إنَّ رحمةً قَسَـمْتَها على خلقِك في دار الدنيا، أصابني منها نعمةُ الإسـلام، فما أعظمَ ما أرجوه من تسـع وتسعين رحمةً أَخَّرْتَها ليومِ الحساب! [1].

- يـا من أعطَانا خيرَ ما في خزائنـه، وهو الإيمانُ به قبل السـؤال، لا تمنعْنـا أوسـعَ ما فـي خزائنك، وهـو العفوُ مع السؤال.

قالوا غدًا تأتي ديارَ الحِمى ... وينـزلُ الـركـبُ بمَغْناهم

فكلُّ مَـن كـان مطيعًا لهم ... أصبـحَ مـسـرورًا بلُقياهم

(١) عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله خلق يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ مائة رحمةٍ، كلُّ رحمةٍ طباقُ ما بين السماءِ والأرض، فجعل منها في الأرضِ رحمةً، فبها تعطِفُ الوالدةُ على ولدِها، والوَحْشُ والطيرُ بعضُها على بعضٍ، فإذا كان يومُ القيامةِ أكْمَلَها بهذه الرحمةِ» رواه مسلم (٢٧٥٣).

قلتُ: فَلي ذنبٌ فما حيلتي بأيِّ وجهٍ أتلقاهم
قالوا أليس العفوُ من شأنهم لا سيما عمَّن ترجَّاهم

- إلهي، كَنْزي عجزي، وحُجَّتي حاجتي، وعُدَّتي فاقتِي، فارحمني.

إلهَ العالمينَ رضاكَ عني وتوفيقي لما ترضى مُنائي
فجِرماني عطائي إن تُرِدْهُ وفقرِي إن رضيتَ به غَنائي

- إلهي، كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمتنعُ مع الذنب من العطاء؟! فإنْ غفرتَ فخيرُ راحمٍ أنت، وإن عذَّبتَ فغيرُ ظالمٍ أنت.

- إلهي! أسألك تذلُّلًا، فأعطني تفضُّلًا.

- إلهي! عرِّفْني عيوبَ نفسي، وافضحْها عندي؛ لأتضرعَ إليك في التوفيق للتنزُّه عنها، وأبتهلَ إليك بين يديك خاضعًا ذليلًا في أن تغسلني منها، عَظُمَ الذنب عندي فلْيَحْسُن العفوُ من عندك، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة.

يا حبيبَ الروحْ
تائهٌ مجروح

كـــــلُّـــــه جُـــــــــروح

لائـــــــــذ بـــــالـــــبـــــابْ

شـــــــوقُـــــــه دَعـــــــــاهْ

والـــــــرضـــــــا رُحـــــــــابْ

يـــــشـــــمـــــل الـــــعَـــــفـــــاه

- أمـا آن لك يا مسـكينُ أن تُقْلِعَ عن هواك؟! أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك؟!

أنسيتَ ما خوَّلك وأعطاك؟!

أما خَلَقَكَ فسواك؟!

أما كشف عنك الكروبَ، وبرزقه غذَّاك؟!

أما ألهمك الإسلامَ وإليه هداك؟!

أما قرَّبكَ بفضله وأدناك؟!

أما بِرُّه في كلِّ طرفةِ عينٍ يغشاك؟!

فقابلـتَ ذلك بالغفلـة وركـوب الشـهوات، والمبادرة بالخطايا والزلات، فنقضتَ عهدَه، وعَصَيْتَ أمرَه!

ودُمْتَ على الإصرار، وأطعتَ هواك، وخالفتَ الجبار!

أمـا آن لـك أن تسـتحييَ ممن شـاهدك علـى المعصية ورآك؟!

ومـع هـذا الحرمان، والبعـدِ عن مولاك، إن عـدتَ إليه قَبِلك وارتضاك؟!

وإن لزمت خدمتَه، قرَّبك وأَدناك.

منعوك من نيل المودةِ والصفا لما رأَوْك على الخيانةِ والجفا

إن أنت أرسلتَ الدموعَ تندُّمًا جادوا عليك تكرمًا وتعطفا

حاشاهمُ أن يظلموك وإنما جعلوا الوفا منهم لأرباب الوفا

- إلهي أنا الصغيرُ الذي ربَّيْتَه، فلك الحمد.

وأنا الضعيفُ الذي قوَّيتَه، فلك الحمد.

وأنا الفقيرُ الذي أغنيتَه، فلك الحمد.

وأنا الجاهلُ الذي علَّمتَه، فلك الحمد.

وأنا الغريبُ الذي آويتَه، فلك الحمد.

وأنا الصُّعْلوكُ [1] الذي مَوَّلته، فلك الحمد.

وأنا العَزَبُ الذي زوَّجتَه، فلك الحمد.

(١) الصُّعْلوك: الفقير.

وأنا الساغِبُ [1] الذي أسبغته [2]، فلك الحمد.

وأنا العاري الذي كسوته، فلك الحمد.

وأنا الضالُّ الذي هديته، فلك الحمد.

وأنا المسافرُ الذي صاحبته، فلك الحمد.

وأنا الغائبُ الذي أدَّيته، فلك الحمد.

وأنا الراجلُ الذي حملته، فلك الحمد.

وأنا المريضُ الذي شفيته، فلك الحمد.

وأنا العاصي الذي سترتَه، فلك الحمد.

وأنا السائلُ الذي أعطيته، فلك الحمد.

وأنا الداعي الذي أجبته، فلك الحمد.

فلك الحمد ربَّنا حمدًا كثيرًا على حَمدي لك.

يا منتهى الآمالِ أنت كَفَلْتَني وحفِظتَني

وعدا الظلومُ عليَّ كي يجتاحَني فمنعتَني

---

(١) الساغب: من سَغَبَ: جاع مع تعب.

(٢) يقال: أسبغ له في النفقة: وسَّع عليه، وأسبغ اللهُ عليك النعمة: أكملَها وأتمَّها.

فانقاد لي مُتَخَشِّعًا لما رآك نصرتَني
وكسوتَني ثوبَ الغِنى ومن المُغالِب صُنتَني
فإذا سَكَتُّ بدأتني وإذا سألتُ أجبتني
فإذا شكرتُك زِدتَني فمنحتني وبَهَرتني
أو إن أجُدْ بالمال فالـ أموالَ أنت منحتني

– اللَّهم يا كثيرَ الخير، ويا دائمَ المعروف، أعطني من الدنيا ما تقيني به فتنتها، وتغنيني به عن أهلها، ويكونُ بلاغًا لي إلى ما هو خير منها، فإنه لا حولَ ولا قوةَ إلا بك.

– اللَّهم إني أعوذ بك من بَطَرِ الغنى، وجَهْدِ الفقر، خلقتني ولم أكُ شيئًا، ورزقتني ولم أك شيئًا، وإني مُقِرٌّ لك بذنوبي، فإن عفوتَ فلا يُنقص من ملكك شيئًا، وإن عذبتني فلا يزيد في سلطانك شيئًا.

يا ربِّ أنت خلقتَني وخلقتَ لي وخلقتَ مني
سبحانك اللهم عالمَ كلِّ غيبٍ مُستَكِنِّ
ما لي بشكرِك طاقةٌ يا سيدي إن لم تُعِنِّي

- اللَّهـم لا يُهـزمُ جندُك، ولا يُخْلَفُ وعدُك، سـبحانك وبحمـدك، تَحصَّنْـتُ بالله الـذي لا إله إلا هـو، إلهي وإله كلِّ شـيء، واعتصمتُ بربي وربِّ كلِّ شيء، وتوكلت على الحيِّ الذي لا يموت، واسـتدفعتُ الشـرَّ كُلَّه بلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم، حسبيَ الله ونعم الوكيل، حسبيَ الـربُّ مـن العباد، حسـبيَ الخالق من المخلوقين، حسـبيَ الرزاق من المرزوقين، حسـبيَ اللـهُ وكفى، سمِعَ اللـهُ لمن دعا، ليس وراءَ الله منتهى، لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهُو ربُّ العرشِ العظيم.

- اللَّهـم إني أشـكو إليك ضَعـفَ قوتي، وقِلـةَ حيلتي، وهوانـي علـى النـاس، برحمتـك يـا ربَّ العالميـن، أنت ربُّ المسـتضعفين، وأنـت ربي، إلى مَـنْ تَكِلُني؟ إلى بعيدٍ يتجهمني، أو إلى عَدُوٍّ ملَّكتَه أمري؟ إن لم يكن بك غضبٌ علـيَّ فلا أبالي، ولكنْ عافيتُك أوسـعُ لي مـن ذنوبي، أعوذ بنـور وجهك الذي أشـرقَتْ له الظلمـاتُ، وصَلَحَ عليه أمرُ

الدنيـا والآخـرة، مـن أن يحلَّ بي سَـخَطُكَ، أو ينـزلَ عَلَيَّ عذابُـكَ، لك العُتبـى[1] حتى ترضى، ولا حـولَ ولا قوةَ إلا بك.

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنامُ غِضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالَمين خرابُ

إذا صحَّ منك الوُدُّ فالكل هَيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوق التراب ترابُ

- اللَّهم اجعل لي وللمسـلمين مـن كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجًا، ومن كلِّ بلاء عافيةً.

- اللَّهم مَنْ كان مِن هذه الأمة على غير الحقِّ، وهو يظن أنه على الحقِّ، فَرُدَّهْ إلى الحقِّ؛ ليكونَ من أهل الحقِّ.

- اللَّهم إني أسـألك إيمانًا يباشـر قلبـي، ويقينًا صادقًا؛ حتى أعلـم أنه لن يصيبني إلا ما كتبتَ لـي، وأنَّ ما أصابني لم يكن ليخطئني، وما أخطأني لم يكن ليصيبني.

- إلهـي، أنـت تَـودَّدُ بنعمتك إلـى من يؤذيـك، فكيف تودُّدُك إلى من يُؤذَى فيك؟!

(١) العُتْبَى: الرضا.

- يـا هاديَ المُضِلِّين، يا راحمَ المذنبين، يا مُقيلَ عَثراتِ العاثرين، يا محسنُ يا مُجمِلُ يا منعمُ يا متفضِّلُ، يا ذا النوافل والنِّعَـم، يا عظيمُ يا ذا العـرشِ العظيم، اجعل لي مما أنا فيه فرجًا ومخرجًا.

يـا مَـنْ ألـوذُ بـه فـيـمـا أُؤمِّـلُـه
ومَـنْ أعـوذ بـه فـيـمـا أحـاذره
لا يَجْبُـرُ الناسُ عظمًا أنت كاسـره
ولا يُـهـيـضـون عـظـمًـا أنـت جـابـره

- اللَّهـم إنـي أسـألك بنـور وجهـك الذي أشـرقت له السـماوات والأرض، أن تجعلنـي فـي حِـرْزِك وحفظك، وجِوارك، وتحتَ كَنَفِك.

يـا ربِّ مـا زال لُطْـفٌ منك يشـملني
وقـد تـجـدد بـي مـا أنـت تـعـلـمـه
فاصرفـه عني كمـا عوَّدتني كرمًا
فـمَـن سـواك لـهـذا الـعـبـدِ يرحمه

- اللَّهم اجعلنا هادين مهديِّين، غير ضالِّين ولا مُضِلِّين، سِـلْمًا [1] لأوليائـك، حربًـا [2] لأعدائك، نحـبُّ بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من عاداك.

- اللهـم فـارجَ الهـمَّ، وكاشـفَ الغـمِّ، مجيـبَ دعـوةِ المضطريـن، رحمنَ الدنيـا والآخـرة ورحيمَهما، ارحمني رحمة تُغْنِيني بها عن رحمة مَن سواك.

يـا نفـسُ عـوذي بالكريـمِ وعَرِّجـي
فـهُـوَ الـذي يُـسْـدِي إلـينـا نِعـمَـتَـهْ
ويُنـزِّلُ الغيـثَ الـذي يَـروي الرُّبـى
مِـن بعدِ مـا قنطوا وينشرُ رحمتهْ

- اللَّهـم إني ضعيفٌ فَقَوِّني، وإني ذليـلٌ فأعِزَّني، وإني فقير فأغنني.

أتـيـتُـك بـالـفـقـر يـا ذا الـغـنـى وأنـت الـذي لـم تـزل مُحسنا

---

(١) السِّلم: المُسالم المُصالح.

(٢) الحَرْب: المعادي المخاصم، تسميةً بالمصدر.

- اللَّهـم إني أسـألك النعيمَ يـومَ العَيْلـة[1]، والأمنَ يومَ الخوف.

- اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ.

- اللَّهم سَلِّمْني، وسَلِّم مني.

- اللَّهم ارزقني شـهادةً في سـبيلك صادقـةً غيرَ كاذبة، كاملةً غيرَ ناقصة.

- يا عزيزُ يا حميدُ يا ذا العرشِ المجيد، اصرف عني كلَّ جبارٍ عنيد.

- اللَّهم إني أسـألك بقدرتك التي تُمسك بها السمواتِ السـبعَ أن يقـعَ بعضُهُن على بعـض، أن تكفينَا بـأسَ الذين كفروا، إنك أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلًا.

- يـا غفـور يا ودودُ، يـا ذا العرشِ المجيد، يـا فعَّالًا لما تريد، أسـألك بعزك الذي لا يُرام، وبمُلكك الذي لا يُضام،

(١) العَيْلَة: الفقر والحاجة.

وينورِك الذي ملأ أركانَ عرشِك، أن تكفيَني شر أعدائي، يا مُغِيثُ أغثني، يا مغيثُ أغثني، يا مغيثُ أغثني.

- اللَّهم إنك تعلم أني على إساءتي وظلمي وإسرافي أني لم أجعل لك وَلَدًا ولا نِدًّا، ولا صاحبةً، ولا كُفُوًا، فإن تعذب فعبدك، وإن تغفر فإنك أنت العزيز الحكيم.

- اللَّهم إني أسألك يا من لا يُغْلِطُه المسائل، ويا مَن لا يشغله سمعٌ عن سمع، ويا من لا يُبرمه إلحاحُ المُلِحِّين أن تجعلَ لي في ساعتي هذه فرجًا ومخرجًا من حيث أحتسب، ومن حيث لا أحتسب، ومن حيث أعلم، ومن حيث لا أعلم، ومن حيث أرجو، ومن حيث لا أرجو، وخذ لي بقلب عدوي وسمعِه وبصرِه ولسانِه ويدِه ورجلِه، حتى تعافيَني من شرِّهِ، فإن قلبَه وناصيتَه بيدك.

- اللَّهم ربَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ، وربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، ومُنْزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والزبورِ والقرآنِ الكريم ادرأ عني شرَّ كلِّ ذي شر.

- أشـهد أن كلَّ معبود دون عرشـك إلى قرار الأرضين باطل غير وجهك الكريم، أَيْ ربِّ، أيْ ربِّ، أيْ ربِّ!

- عُبَيـدُك بفنائـك، مسـكينُك بفنائك، فقيـرُك بفنائك، سـائلُك بفنائك، يا وَلـيَّ نعمتي، ويا صاحبـي في وِحدتي، ويا مؤنسي في وَحشتي، ويا عُدَّتي في كُربتي، قد ترى ما أنا فيه ففرِّج عني، واجعل لي مخرجًا.

يـا مـن تُـحَـلُّ بـذِكـرِهِ عُـقَـدُ الـنـوائـبِ والـشـدائـدْ
يـا مـن إلـيـه الـمشـتكى وإلـيـه أمـرُ الـخـلـقِ عائد
يـا حـيُّ يـا قـيـومُ يـا صمد تـنـزه عـن مُـضـادِد
أنـت الـعـلـيـمُ بـمـا بُـلـيـتُ بـه وأنـت عـلـيـه شـاهـد
أنـت الـمُـنَـزَّهُ يـا بـديـعَ الـخـلـقِ عـن وُلْـدٍ ووالِـد
أنـت الـرقـيـبُ عـلـى الـعـبادِ وأنـت فـي الـمـلـكوت واحـد
أنـت الـمـعـز لـمـن أطـاعـك والـمُـذِلُّ لـكـل جـاحـد
فَـرِّجْ بـحـولِـك كُـربـتـي يـا مـن لـه حُـسْـنُ الـعـوائـد
أنت الميسِّر والمسهِّل والمسبِّبُ والـمُـسَـهِّـدُ والـمـسـاعـد

- يـا من هو أقرب مـن حبل الوريد، يا فعَّالًا لما يريد، يا من يحول بين المرء وقلبه، حُلْ بيننا وبين من يؤذينا بحولك وقوتـك، يـا كافِيَ كلِّ شـيء، ولا يَكفي منه شـيء، اكْفِنا ما يُهِمُّنا من أمر الدنيا والآخرة، يا أرحم الراحمين.

- اللَّهـم إنـي أعوذ بك من شـرِّ السـلطان، ومن شـرِّ ما تجـري به أقلامُهم، وأعوذ بك أن أقـول بحقٍّ أطلب به غيرَ طاعتك، وأعوذ بك أن أتزيَّن للناس بشـيءٍ يَشـينُني عندك، وأعوذ بك أن أستعين بشيء من معاصيك على ضُرٍّ نزل بي، وأعوذ بك أن تجعلَني عِبْرةً لأحد من خلقك، وأعوذ بك أن تجعل أحدًا أسعدَ بما عَلَّمتَه منِّي، اللَّهم لا تُخزني فإنك بي عالم، اللَّهم لا تعذِّبني فإنك عليَّ قادر.

- اللَّهم إني أُنْزِلُ بكَ حاجتي، وإن قصَّر رأيي، وضَعُف عملـي، وافتقرتُ إلى رحمتك، فأسـألك يا قاضيَ الأمور،

ويا شـافيَ الصدور، كما تُجير بين البحور[1] أن تجيرني من عذاب السعير، ومن فتنة القبور، ومن دعوة الثبور[2].

- اللَّهم وما قصَّر عنه رأيي، وضَعُفَ عنه عملي وعلمي، ولم تبلغْه مسألتي، مِن خيرٍ وعدتَهُ أحدًا من خلقك، أو خيرٍ أنت مُعطيه أحدًا من عبادك، فإني أرغبُ إليك فيه، وأسألك إياه، برحمتك يا ربَّ العالمين.

- اللَّهـم اجعـل لـي من كل مـا أهمني وكربنـي من أمر دنيـاي وآخرتـي فرجًـا ومخرجًـا، وارزقنـي مـن حيثُ لا أحتسـب، واغفر لي ذنوبي، وثَبِّتْ رجاك في قلبي، واقطعه ممن سواك، حتى لا أرجوَ أحدًا غيرَك.

إليه إلهَ الخلقِ وَجْهي وَوِجْهَتي

وأنت الذي أدعوه في السرِّ والجهرِ

وأنـت غِيـاثـي عنـد كُـلِّ مُـلِـمَّـةٍ

وأنت مَلاذي في حياتي وفي قبري

---

(١) أي: تفضل بينهما، وتمنع أحدها من الاختلاط بالآخر.

(٢) أي: الهلاك.

- اللَّهم احفظني بدينك وطاعتك وطاعة رسولك.

- اللَّهم يسِّرني لليُسرى، وجنِّبني العُسرى، واغفر لي في الآخرة والأولى، واجعلني للمتقين إمامًا.

- اللَّهم إنك قلت: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠]، وإنك لا تُخلِفُ الميعاد، اللَّهم إذ هديتني للإسلام، فلا تنزِعْني منه، ولا تنزِعْه مني، حتى تقبضَني وأنا عليه.

- اللَّهم استعمِلْنا بسنَّةِ نبيِّنا -صلى الله عليه وآله وسلم- ، وتوفنا على مِلَّته، وأوزِعْنا بهدْيه، وارزقنا مرافقته، وأوردْنا حوْضَه، واسقِنا مشربًا رَوِيًّا لا نظمأ بعده أبدًا، اللَّهم ألحقنا بنبيِّنا غيرَ خَزايا ولا نادمين، ولا خارجين ولا فاسقين، ولا مبدِّلين ولا مرتابين، واجعلنا من الذين أنعمتَ عليهم من النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

- اللَّهـم جَنِّبنا مُضِـلات الفِتن، واعصِمْنـا من المِحن، واغفِـر لنا ذنوبَنا التي جنيناها في السِّـرِّ والعَلَن، إنك قريب مجيب.

اللهم خَلِّصني من مظالم نفسـي ومظالم كل شـيء قبل المـوت، ولا تُمتنـي ولأحـدٍ علـيَّ مَظْلِمَةٍ يطلبنـي بها بعد المـوت، ولا بدَّ من الموت، فاجعله علـى توبةٍ نصوح بعد الخلاص من مظالم نفسي ومظالم العباد، قتلًا في سبيلك، على سـنتك وسـنة رسـولك، شـهادة يغبطني بهـا الأولون والآخـرون، واجعـل النقلة إلـى رَوْحٍ وريحـان في جنات النعيم، ولا تجعلها إلى نُزُلٍ من حميم وتَصْلِيةِ جحيم.

لأبكين بدمع العين من أسفٍ لأبكين بكاء الوالهِ الحَزِنِ

وحُـقَّ لمثلي بالبُكا عند موته

وما لي لا أبكي وموتي قد اقتربْ

ولي عملي في اللوح أحصاه خالقي

لئن لم يَجُدْ بالصفح صِرتُ إلى العَطَبْ

اللهم أصلحني قبل الموت، وارحمني عند الموت، واغفر لي بعد الموت.

تائبٌ تجري دموعي نَدَما

يا لِقلبي من دموع الندمِ

ليتني ذبتُ حياءً كلما

جَدَّدَ السَّتْرُ عطاءَ المُنعِمِ

عانق الشيطانُ في صدري الملاكْ

وتحيرتُ بهذا وبذاك

ثم صاح الوهمُ كن طوعَ هواكْ

جمح الإثمُ بأمسي فارتمى

حاضري يمسح جُرْحَ الألمِ

قـد زَهِـــدْتُ الإثـــمَ شـوقًـا لـلـسـلامْ
أيـــن ظـل الله مـــن زيـــف الـحُـطـامْ
أيـــن نـــورُ الـحـقِّ مـن وهـــم الـظـلامْ
أشـــرقَـــتْ روحـــي فـهـامـت نَـغَـمـا
وصـفـا قـلـبـي صـفـــاءَ الـمُـلْـهَـمِ

يـا إلـهـي شـاقـنـي هـــذا الـوجـودْ
تـلـك دنـيـاك فـمـا بـــالُ الـخـلـودْ
عَـــزَّ قـــدري بـك فـي ذُلِّ الـسـجـودْ
أنـت إن تـرضـى كـفـانـي مَـغْـنَـمـا
لـيـس بـعـدَ اللهِ لـي مـن مَـغْـنَـمِ
لـيـتـنـي ذبـــت حـيـــاء كـلـمـا
جـــدد الـسَّـــتْـــرُ عـطـاءَ الـمـنـعـمِ

- اللهـم اجعل خيرَ عُمُري آخِرَهُ، وخيرَ عملي خواتِمُه، واجعل خيرَ أيامي يومَ ألقاك.

يا عالمَ الأسرارِ عِلْمَ اليقينْ يا كاشفَ الضُّرِّ عن البائسينْ
يا قابلَ الأعذارِ فِئنا إلى ظِلِّكَ فَاقبَلْ توبةَ التائبينْ

يا مُخطئًا ما أغفلَكْ
عَجِّلْ وبادِرْ أَجَلَكْ
واختم بخيرٍ عَمَلَكْ

قَرُبَ الرحيلُ إلى ديارِ الآخره
فاجعل إلهي خيرَ عُمُري آخرَه
فلئن رحِمتَ فأنت أكرمُ راحمٍ
وبحارُ جُودِك يا إلهي زاخره
آنِسْ مبيتي في القبور ووِحدتي
وارحم عظامي حين تبقى ناخِره
فأنا المُسَيْكِيُن الذي أيامُه
وَلَّتْ بأوزارٍ غدت متواتره
وَتَولَّهُ باللطفِ عند مآلِه
يا مالكَ الدنيا وربَّ الآخِره

- اللَّهـم أمرتَنا بدعائك، ووعدتَنا إجابتَك، وقد دعوناك كما أمرتنا، فأجِبْنا كما وعدتنا.

اللَّهـم امنن علينا بمغفرة ما قارفنا، وإجابتك في سـقيانا وسَعِة رزقنا، وحُسْن عاقبتِنا.

إلـيـكَ وإلا لا تُـشَـدُّ الـرَّكـائـبُ

ومـنـك وإلا فـالـمُـؤَمِّـلُ خـائِـبُ

وفـيـك وإلا فـالـغـرامُ مُـضَـيَّـعٌ

وعـنـك وإلا فـالـمُـحَـدِّثُ كـاذِبُ

وهـذا آخـر ما قصـدت جمعه مـن مناجـاة الصالحين، والحمـد للـه رب العالمين، والصلاة والسـلام على سـيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

مسرد الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الحياء لغةً	٥
الحياء شرعًا	٧
إذن حقيقة الحياء	٨
الفرق بين الحياء والخجل	١١
الحياء دليل نجابة الصبي	١٢
الحياء جِبِلِّيٌّ، وكَسْبِيٌّ	١٣
الحياء من مكارم الأخلاق عند العرب	١٧
الحياء في الإسلام	٢٠
فصل: في أقسام الحياء	٢٥
مِمَّ يَتَولَّدُ الحياءُ؟	٢٩
يتولد الحياء من امتزاج التعظيم بالمودة	٢٩
يتولد الحياء من علم العبد بنظر الحق إليه	٣٠
يتولد الحياء من مشهد النعمة والإحسان	٣١

لو لم يرد بالحياء من الله شرع؛ لاستلزمه العقل واستحسنه ٣١
حياء الجناية ٣٣
معنى ما نسب إلى الأنبياء -عليهم السلام- من معصية، وعلاقة ذلك بعصمتهم ٣٣
فضائل الحياء ٣٩
أولًا: الحياءُ مِفتاحُ كلِّ خيرٍ ٣٩
قصة إنكار عمران بن حصين -رضي الله عنهما- على بشير بن كعب
قوله في الحياء: «إن منه ضعفًا، وإن منه عجزًا» ٤٠
استدراك على الراغب الأصفهاني في ما زعم من أن الحياء مركب من عفة وجُبْن ٤١
كلام بديع لابن القيم في بيان أنَّ «مَنْ لم يُطع آمِرَ الحياء وزاجره؛ أطاع آمرَ الهوى والشهوة، ولا بد» ٤٢
ثانيًا: الحياء من خصائص الفطرة الإنسانية ٤٤
ثالثًا: الحياء إيمان ٤٥
دفع إشكالين ٥١

الأول: كيف جُعل الحياء -وهو غريزة- شعبة من الإيمان وهو اكتساب؟ ٥١
الثاني: إذا كان الحياء من الإيمان؛ فماذا عن وجود حياء ظاهر عند بعض الكافرين؟ ٥٣
رابعًا: الحياء أبهى زينة ٥٧
خامسًا: الحياء من صفات الله عز وجل ٥٨
حياء الله تعالى لا يشبه حياء المخلوقين، وإنما هو على معنى يليق به عز وجل ٥٩
معنى استحياء الله تعالى من عبده إذا أذنب ٦٠
سادسًا: الحياء خلق يحبه الله عز وجل، ويحب أهله ٦٤
سابعًا: الحياء شريعة جميع الأنبياء عليهم السلام ٦٥
من عقوبات المعاصي ذهاب الحياء..... ٦٦
شؤم الانسلاخ من الحياء ٦٧
فصل: حول معنى حديث «إذا لم تستحِ، فاصنع ما شئت» ٦٩
ثامنًا: الحياء خلق الأنبياء عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام ٧٢
حياء موسى عليه السلام ٧٢

حياء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٧٣
تاسعًا: الحياء خُلُقُ الإسلام الغالبُ على أهله ٨٠
من حياء الصحابيات -رضي الله عنهن-..... ٨١
من حياء الصحابة - رضي الله عنهم - ٨٦
من حياء الصالحين ٩٣
فصل: الحياء بين الرجل والمرأة ٩٥
فصل: الحجاب حارس الحياء ٩٦
فصل: أقسام الحياء باعتبار مَن يُستحيا منه..... ١٠٦
أولًا : الاستحياء من النفس ١٠٦
ثانيًا: الاستحياء من الملائكة ١٠٩
ثالثًا: الاستحياء من الناس ١١١
فصل: مسائل من « فقه الحياء » ١١٦
الأولى: هل يؤجر مَن فعل المعروفَ حياءً ؟ ١١٦
الثانية: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف ١١٨
الثالثة: يجري في الحياء الأحكام التكليفية ١٢٢
ليس من الحياء ١٢٤

أسقط الإسلام اعتبار الحياء في مواضع ١٢٩
فائدة: حول ما روي من استحياء الإمام مالك من ركوب دابة في المدينة ١٣٢
فصل: الحياء في العلم ١٣٢
فائدة: في تقديم بر الوالدين على الحياء من الناس ١٣٩
فصل: الحياء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٤٠
صور من الحياء المذموم ١٤٩
موقف رائع للإمامين مالك والشافعي -رحمهما الله- في استحسان
اطِّراح الحياء في مواطن إثبات الحقوق ١٥٠
رابعًا: الاستحياءُ من الله - جل وعلا - ١٥٣
استحباب التستر في الخلوة تأدبًا مع الله -عز وجل- ١٥٥
تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.... ١٥٧
كيف فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- «الإحسان»؟ ١٥٨
أثر الحياء والمراقبة في الزجر عن المعاصي، وتزكية النفوس.. ١٦٠
التزكية أحد مقاصد البعثة النبوة ١٦٢
كيف رفع النبي -صلى الله عليه وسلم- شأن التزكية ١٦٢

مَنْ زكَّى نفسه بالإحسان والمراقبة طَعِمَ طَعْمَ الإيمان..... ١٦٣
نصوص سلفية في المراقبة والحياء من الله تعالى ١٦٧
الإحسان يورث الحياء من الله تعالى..... ١٧٤
فصل: خلوة الذين يستحيون من الله جل وعلا ١٧٦
فصل: خلوة الذين لا يستحيون من الله -سبحانه وتعالى- ١٨٦
فصل: المحسنون... وعمل السر ١٩١
ثواب المحسنين ٢٠٣
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ ٢٠٤
فصل: كيف يُكتَسَبُ الحياء؟ ٢٠٧
ملحق: مناجاة المحسنين في الخلوات..... ٢١٥
مسرد الموضوعات ٢٨١

تم بحمد الله